

مواقف قوى الشرق الكبرى ودول الأطراف الصاعدة

مجموعة من الباحثين (٥)

واليابان)، ومن قوى صاعدة مؤخرًا وباحثة عن «مكان تحت الشمس» (أمريكا اللاتينية وكندا وأستراليا). وهاتان المجموعتان تشكلان جغرافياً قوسيّ العالم من حولنا: شرقاً وغرباً، وبينهما يجري الصراع الراهن بين عالم الأطلنطي والشرق العربي الإسلامي، وفي أعرق ساحاته: فلسطين.

ويمكن إجمال حصيلة المتابعة التي قام بها الباحثون الثلاثة (عبد العال، وبغدادى، والشريدي) في محورين: الموقف، ودلالاته؛ بحيث نأتي على كل دولة أو قطاع من هذه الدول تبعاً: روسيا، فالصين والهند، فأستراليا وكندا، وبعض دول أمريكا اللاتينية.

أولاً - مواقف قوى الشرق الكبرى الأربع

بالإضافة إلى الإطار العام الحاكم لتوجهات كل من روسيا والصين والهند -واليابان نوعاً- نحو العالم الإسلامي والمشار إليه عالياً، ثمة مجموعة من القضايا تؤثر في نوعية هذه التوجهات وشدتها؛ منها أوضاع المسلمين في هذه الدول واشتراك الثلاث الأولى في مواجهة قضية استقلال إسلامي في تخومها (الشيشان وتركستان الشرقية وكشمير) بالإضافة إلى أزمة البلقان وكوسوفا الأخيرة، والتحول في منطقة الهند الصينية بين المسلمين الملايو والاندونيسيين والفيونانيين وغيرهم من السلالات الهندية والصينية، والموقف الجماعي من الأصولية الإسلامية المتصاعدة والحرب عليها ضمن ما يعرف بمحور شنغهاي - موسكو - دلهي. أضف إلى هذا: العنصر الخاص

ثمة عاملان أساسيان يسهمان في تشكيل مواقف القوى الدولية المختلفة من قضايا الأمة العربية والإسلامية: أولهما-

هو موقع هذه القوى من هيكل النظام العالمي الراهن، وثانيهما- هو موضع الأمة ذاتها من الهيكل نفسه وقدرتها على التأثير في مجرياته. ومن تفاعل هذه العاملين تتولد معادلات علاقاتنا بالعالم وطبقاته وقواه المختلفة، وهي تتراءى في مشهدين أساسيين من جملة مشاهد مختلة: مشهد الفعولية؛ حيث تتعامل القوى العظمى (في الغرب خاصة) مع العالم الإسلامي من منطلق استراتيجياتها هي ومقاصدها وتقديراتها؛ فنقع دولنا منها ومن سياساتها موقع المنفع أكثر من الفاعل المكافئ أو حتى المتفاعل المجتهد. ثم مشهد اللامبالاة والدبلوماسية المجاملة: خاصة من قبل القوى دون العظمى التي عادة ما تكون مشدودة لمواقف الطبقات العليا من النظام العالمي وتعاني تحولاتها الداخلية؛ ومن ثم لا تآبه لأزماتنا أو مواقفنا أو ردود فعلنا، فتكتفي إزاء قضاياها بالتعاطي المستريح.

هذا إطار أساس أتصور أنه يحكم ويفسر مجمل علاقات أمة العرب والمسلمين بالعالم من حولهم وقواه على مختلف مستوياتها من النفوذ والتأثير، خاصة في ظل نظام ما بعد القطبية الثنائية، ونظام ما بعد الحادي عشر من سبتمبر والحرب الأمر-عالمية على الإرهاب والمقاومة. ومن ثم يمكن أن تندرج تحته مواقف هذه الحزمة الخاصة التي نتعرض لها من: قوى تقليدية كبرى باحثة عن طابق أعلى (روسيا والصين والهند



(*) جمع مادة هذا التقرير كل من أ. محمد محمود عبد العال، أ. محمد بغدادى، وأ. إيناس الشريدي، وقام بتحرير التقرير أ. مدحت ماهر.

إسرائيل وقف عملياتها العسكرية، لكنه لم ينس إضافة وجوب التخلي عن إطلاق الصواريخ من قطاع غزة^(١). قليل من النقد تبدى بعد اليوم العاشر مركزاً على الجانب الإنساني، بينما استمر الإحياء بالإدانة المتساوية للطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، الأمر الذي دفع خالد مشعل -رئيس المكتب السياسي لحركة حماس- إلى مطالبة موسكو باتخاذ موقف صارم ضد العدوان على غزة وذلك في اليوم الحادي عشر.

التقى ألكسندر سلطانوف -الممثل الخاص للرئيس الروسي، الذي كان المتحدث الأبرز عن الموقف الروسي- الرئيس السوري بشار الأسد ووزير خارجيته وليد المعلم.. كما التقى مشعل الذي أبدى استعداده للمشاركة في التوصل إلى حل، لكن سلطانوف استمر يدعو قيادة حماس إلى التصرف بمسئولية تجاه مصير شعب غزة واتخاذ القرارات البناءة، إلى جانب الدعوة للمجتمع الدولي للقيام بدور من أجل وقف فوري لإطلاق النار، ووقف «العمليات الإسرائيلية» على القطاع، وفتح المعابر، ومساعدة الجرحى.

وعلى الجانب الآخر بادرت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني بمهاتفة وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف الذي دعاها إلى «وقف عاجل» للعمليات العسكرية.. وصرح بأن «موقف روسيا واضح ويجب أن يكون هناك وقف عاجل للعمليات العسكرية في قطاع غزة التي أوقعت عدداً كبيراً من الضحايا في صفوف الفلسطينيين. ومرة أخرى يتم التشديد على الأمن الإسرائيلي: «لقد شددنا على ضرورة إعادة إرساء تهدئة، الأمر الذي سيسمح لضمان أمن السكان المدنيين في جنوب إسرائيل. ومن ثم اقترح لافروف أن تشارك روسيا في معالجة قضية إطلاق سراح الجنود الإسرائيليين الأسرى في فلسطين: «إن بلادنا لا تستطيع حل هذه القضية بصورة مستقلة، لكنها قادرة على إرسال إشارة سياسية واضحة إلى مختطفي هؤلاء العسكريين».

حذرت روسيا من خلال وزير خارجيتها ومبعوثها إلى المنطقة والناطق باسم وزارة الخارجية الروسية أندريه نسترينكو من وقوع كارثة إنسانية.. ورحبت بالجهود التي تبذلها مصر للحيلولة دون الكارثة واستئناف الحوار الفلسطيني، وأيدت بقوة المبادرة المصرية، معتبرة أنها الحل الأمثل، وأنه ليس من المعقول طرح مبادرات جديدة.

قبل نهاية العدوان الإسرائيلي بأيام عقد سيرجي لافروف مؤتمراً صحفياً في موسكو استعرض فيه نتائج عمل الدبلوماسية الروسية في السنة المنصرمة، وفيه أكد أهمية بحث سبيل فعال لحل النزاع الفلسطيني-الإسرائيلي، وذكر أنه مقتنع تماماً مثل زملائه الأجانب بأن تسوية النزاع في الشرق الأوسط تنصدر قائمة المهام الماثلة أمام الأسرة الدولية؛ إذ إنه ينطوي

بشراكات كل منها مع إسرائيل في المجالات الحيوية والأمنية في مقابل الانقسام الفلسطيني بين فتح وحماس وتهاافتها على كسب ود هذه الدول.

أما اليابان فيكاد يكون عامل التبعية للولايات المتحدة، يليه التوغل اليهودي في الاقتصاد والإعلام محدداً قاطعاً لتوجهها نحو الأمة والعدوان عليها. وفيما يلي نتابع آثار هذه العوامل على مواقف هذه الدول على التوالي.

١- روسيا: وصلة تناؤب ونظرات متقطعة:

قبيل العدوان على غزة لوحظ تحرك فلسطيني نسبي تجاه روسيا في محاولة لفك الجمود الذي يفرضه الانفراد الأمريكي برعاية عملية التسوية. وبالمثل دأبت روسيا على أن تحرف صورة موقفها من القضية الفلسطينية عن الموقف الأمريكي قليلاً وإن لم يكن بجدوى عملية. ففي أعطاف مؤتمر أنابوليس الذي استضافته الولايات المتحدة نوفمبر ٢٠٠٧ لبحث سبل إعادة إحياء عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، اقترحت روسيا تنظيم مؤتمر آخر في موسكو لمتابعة نتائج أنابوليس، إلا أن الخلاف على مواعده وتراخي العرب إزاءه حال دون تنظيمة. وحرصت حماس (منذ ٢٠٠٦) ومن قبل وصولها للحكم على التواصل مع الجانب الروسي وإعلان الفصل بين قضيتها والقضية الشيشانية، كما قام الرئيس محمود عباس بزيارات لموسكو كان آخرها قبيل العدوان بأسبوع (١٨-٢٣ ديسمبر)، مستهلاً بزيارة للشيشان والتقاء رئيسها المعين من قبل روسيا رمضان قديروف، في إشارة واضحة للدلالة، والتقاء ممثلي الجهات الدينية (رئيس مجلس المفتين المسلمين الذي منح عباس وسام الفخر، ورئيس الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية السيد سيرجي ستيباشين) ورئيس الغرفة التجارية الصناعية الروسية (يفجينى بريماكوف) حيث تم تأسيس مجلس أعمال للتعاون مع فلسطين.

وعندما اندلع العدوان في ٢٧ من ديسمبر لاقته الحكومة الروسية في البداية ببرود شديد اتسمت به تصريحات المسؤولين والإعلام الرسمي (خاصة قناة روسيا اليوم ووكالة نوفوستي الروسية المتحدثين باسم الدولة الروسية)، ولكن الطريف أن المتابعة الإعلامية الداخلية مالت تدريجاً إلى إدانة الجانب الفلسطيني ومن ورائه العرب!

ف عقب صمت له دلالاته لنحو أسبوع، بدأت روسيا تعرب عن قلقها إزاء تطورات الأحداث المأساوية في قطاع غزة، مؤكدة ضرورة وقف العنف في أسرع وقت ممكن وتأمين وصول الأدوية والغذاء إلى قطاع غزة. فصرح نائب وزير الخارجية الروسي ألكسندر سلطانوف بأن ما يحدث ينسف قواعد العملية التفاوضية التي تم تأسيسها في أنابوليس.. وأنه يجب على

الإعلام الروسي المستقل تحت تأثير اليهود نجح في الإيحاء بأن العرب أنفسهم لا يؤمنون بالدور الروسي في الصراع في الشرق الأوسط

والأكثر من ذلك على المستوى السياسي بالتحديد، أن الإعلام الروسي المستقل تحت تأثير اليهود نجح في الإيحاء بأن العرب أنفسهم لا يؤمنون بالدور الروسي في الصراع في الشرق الأوسط ولا يريدونه، وأنهم كانوا يبذلون ترحيبهم عند حضورهم لموسكو بعقد مؤتمر دولي للشرق الأوسط في موسكو، لكنهم عندما يعودون لبلادهم ينسون ما قالوه، ولم يؤيد أحد منهم هذا المؤتمر ولا حتى سوريا نفسها، ولا الفلسطينيين أنفسهم.

هذه الحملة الإعلامية الشرسة ضد العرب في روسيا أديرت بشكل جيد للغاية، وساعدها بشكل كبير انشغال الحكومة والكرملين في أزمة الغاز، لكن أيضاً ساعدها شيء آخر مهم جداً، وهو غياب الرأي الآخر العربي ليس فقط في الإعلام الروسي، بل في مختلف الأوساط السياسية الأخرى. والمشكلة ليست فقط في غياب العرب أنفسهم، بل أيضاً في غياب دعمهم لأي جهة داخل روسيا تؤيد أو تدعم القضايا العربية، وهذه الجهات كثيرة من منظمات وجمعيات صداقة ومجالس أعمال مشتركة عربية/روسية، وشخصيات روسية مرموقة من سياسيين وكتاب وأدباء وقطاع كبير جداً من المجتمع الإسلامي في روسيا^(٣).

يضاف إلى هذا ما صرح به بهذا الخصوص المستشرق فلاديمير أحميتوف في حديث صحفي لإذاعة صوت روسيا بقوله: إن ما يجري في غزة هو حرب الاستنزاف؛ لأن مقاتلي حماس ما زالوا يطلقون الصواريخ.

ومن جهة أخرى وبعد عشرة أيام من الاعتداء رأينا أن الإعلام الروسي بدأ يوضح الصورة بطريقة جريئة فأصبحنا نسمع عن قنابل فوسفورية وعن صواريخ إسرائيلية. فقد توقف مراسل قناة «روسيا اليوم» عن العمل مؤقتاً بسبب الصواريخ، التي كانت قريبة جداً.

موسكو وقضية إعمار غزة

قدمت موسكو كميات لا بأس بها من المساعدات الإنسانية لسكان القطاع، كما توجه فريق طبي روسي يوم ٢١ من يناير إلى القطاع. وعبرت موسكو عن أهمية إيجاد طرق لتذليل الأضرار الناجمة عن العدوان الإسرائيلي على غزة، مشيرة

على عواقب وخيمة جداً؛ حيث إنه يؤثر سلباً على جميع نواحي الحياة الدولية. كما أكد لافروف ضرورة الاتفاق بين جميع أطراف النزاع بما فيها حماس، مما يقتضي عودتها إلى الهدنة، ثم يجب أن يوافق الإسلاميون على أرضية منظمة التحرير الفلسطينية ويعلنوا عن اعترافهم بصلاحيات محمود عباس باعتباره زعيماً فلسطينياً شرعياً.

ومع اشتداد العدوان الإسرائيلي على غزة شددت موسكو من انتقاداتها لكل الطرفين بسبب انتهاكهما للأعراف الدولية: قيام إسرائيل بتوجيه الضربات إلى أحياء غزة كثيفة السكان التي ليست لها أهمية عسكرية، (يثير قلقاً شديداً)، ومن جهة أخرى حولت فصائل حماس السكان المدنيين إلى ترس حي، مما يؤدي إلى زيادة عدد الضحايا.

الموقف الشعبي:

امتد هذا الصمت إلى الشعب الروسي.. ففي الوقت الذي عمّت فيه مظاهرات الاحتجاج على المذبحة الإسرائيلية في غزة معظم مدن العالم بما فيها المدن الأميركية والأوروبية ودول أميركا اللاتينية، لم تشهد العاصمة الروسية موسكو ولا أي مدينة روسية أخرى أي فعاليات تضامنية مع الشعب الفلسطيني في غزة... الشيء الذي بدأ محل عناية هو عمليات إجلاء المواطنين الروس من قطاع غزة؛ حيث غادرت أول مجموعة من الروس غزة قبل عشرة أيام مروراً بأراضي إسرائيل.. ودار حديث مع السلطات الإسرائيلية حول هذا. وقد أجليت دفعات أربع من المواطنين الروس من قطاع غزة إلى ما بعد انتهاء العدوان، ليصل عددهم إلى نحو ١٥٢ شخصاً.

فيما حرص الإعلام الروسي الرسمي على نقل مجريات الأحداث بشيء من الحيادية التي تحمل الجانبين المسؤولية خاصة أثناء الأيام الأولى، فإن الإعلام «المستقل»، وخصوصاً الذي يسيطر رأس المال اليهودي على ٦٠٪ منه لم يفوت الفرصة، وأطلق حملته شبه المنظمة والمتفق عليها للهجوم على حركة «حماس» ووصفها بالحركة الإرهابية، معيياً على موسكو استضافتها قيادات حماس في مارس/ آذار ٢٠٠٦ ودعمها لها ولحزب الله. كما كتبت بعض الصحف تطالب الكرملين بالضغط على سوريا وإيران لوقف دعمهما لـ«الإرهابيين»؛ يقصدون المقاومة اللبنانية والفلسطينية، بل و طالب بعض كتاب المقالات في صحف «كوميرسانت ديللي» و«إزفستيا» و«فريميا نوفوستي» بأن تراجع موسكو حساباتها في منطقة الشرق الأوسط جيداً، ولا تستمر في خطأ تأييدها للعرب وقضاياهم الخاسرة. وانتهزت هذه الصحف الثلاث بالتحديد الفرصة لتذكر النظام الروسي بما فعله معه العرب في الأعوام الماضية، أثناء حكم الرئيس السابق بوتين بالتحديد^(٢).

فالصين لا تظهر أنيابها أو مخالبها إلا إذا تعلق الأمر بتايوان أو بحر الصين والمضائق وربما في محيط كوريا والتسلح الياباني

المسلح». واستمرت هذه النغمة ضمن استراتيجية «الحث» وسياسة التصريحات والإعراب عن القلق وتحذير الجميع، بينما الممتنع هو الحركة الفاعلة.

ومع اختلاف الأطراف على المبادرة المصرية، قدم المبعوث الصيني سونج بى روية صينية من خمس نقاط لحل الأزمة خلال اجتماعه مع وزير الخارجية المصري أبو الغيط وأمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى في القاهرة، تتضمن مطالبة الأطراف المعنية بالالتزام بقرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٨٦٠ ووقف فوري لجميع العمليات العسكرية لتجنب سقوط مزيد من القتلى والجرحى، وتخفيف الأزمة الإنسانية وفتح ممرات آمنة في أسرع وقت ممكن لتقديم الغذاء والدواء والوقود وغيرها من المساعدات الإنسانية إلى القطاع، على أن توفر الأطراف المعنية الضمانات اللازمة لذلك. وتتضمن الرؤية الصينية أيضاً تشاور الأطراف المعنية حول إقامة آلية دائمة تضمن وتراقب وقف إطلاق النار في غزة لتحقيق الأمن والاستقرار الدائمين، بالإضافة إلى ضرورة الإسراع باستئناف مفاوضات السلام بين فلسطين وإسرائيل وإيجاد حل لمسائل الوضع النهائي على أساس الثقة المتبادلة، وصولاً إلى إقامة دولة فلسطين المستقلة وتحقيق هدف إقامة الدولتين.

ولكن مع الإصرار المصري المدعوم من الغرب على المبادرة المصرية، أعربت الصين على لسان سون وكين عن دعمها الاقتراح المصري. وأكد كين في مؤتمر صحفي في بكين: «يجب أن يتعامل المجتمع الدولي بجدية مع الخطة المصرية». ومن هنا حصلت الصين على إشارات عربية وإسرائيلية، فقد أشاد شيمون بيريز بجهود الصين من أجل تخفيف الوضع الحالي في الشرق الأوسط، مشيراً إلى أن إسرائيل تولي أهمية لوجهات نظر الحكومة الصينية، وترغب في الحفاظ على اتصال وثيق مع الصين. وبالمثل فعل وزير الخارجية المصري.

الموقف الشعبي وإعادة الإعمار:

وكما سكت الروس، مضى الصينيون إلى أعمالهم منهمكين في شئونهم الخاصة. أما الإعلام الصيني الموجه للعالم العربي فقد حرص على تبرير الموقف الصيني لا سيما من ناحية الشقاق العربي وأثره على تحركات القوى المختلفة. فقد ذكرت شبكة الصين بأن الدول العربية انخرطت في شقاق عميق حول كيفية معالجة أزمة غزة، حيث دعت بعض الدول لاتخاذ إجراءات

إلى تحضيرات لعقد مؤتمر موسكو بخصوص الشرق الأوسط في النصف الأول من عام ٢٠٠٩، وهو ما لم يتم.

وفي معرض تعليقه على نتائج لقاء وزير الخارجية الروسي لافروف مع السفراء العرب في موسكو يوم ٢٠ من يناير/كانون الثاني، أعلن السفير المصري لدى موسكو عزت سعد أن روسيا ستشارك بنشاط في مؤتمر إعمار غزة الذي تنظمه مصر في منتصف فبراير ٢٠٠٩. وبالمثل أشاد سفير البحرين وعميد السلك الدبلوماسي العربي في موسكو، بالدور الذي تقوم به روسيا.

٢- الصين: نسمع جعجعة ولا نرى طيحاً

تطابق الموقف الصيني مع الروسي لدرجة كبيرة، في الاكتفاء بتصريحات إدانة الطرفين والمطالبة بوقف فوري للعمليات، وإرسال مبعوث خاص يجوب المنطقة. فقد لاحظ المراقبون أن ذكر الصين ورد خلال الأزمة مرتين: الأولى عندما تحرك المبعوث الصيني إلى الشرق الأوسط سونغ بي في جولة على عدد من دول المنطقة ناقلاً خطة من خمس نقاط لوقف إطلاق النار، لم يتسن لها أن تخضع للدرس في ظل كثرة المصرحين وندرة الفاعلين في وقف العدوان. والثانية عندما تحدثت معلومات صحفية أجنبية عن إطلاق المقاتلين الفلسطينيين صواريخ متطورة على المستوطنات الإسرائيلية ذات منشأ صيني، بل قيل إن هذه الصواريخ لم تُستخدم حتى في الصين نفسها حتى الآن. غير ذلك لم يكن للصين أي ذكر في الأزمة الحالية إلا من خلال الموقف الصيني في مجلس الأمن الدولي، وهو الموقف الذي جاء مؤيداً للموقف الرسمي العربي، وأسهم في إصدار القرار الدولي رقم ١٨٦٠ الذي دعا إلى وقف فوري لإطلاق النار، إلا أنه لم يطبق بشكل فوري ولا يعرف أحد مصيره بعد ذلك^(٤).

في البداية صرح المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية كين جانج بأن الصين تشعر بالقلق العميق إزاء الوضع الحالي في غزة وتأمل أن توقف جميع الأطراف المعنية «الصراع المسلح» على الفور: «يجب أن توقف إسرائيل على الفور العمليات العسكرية في غزة، ويجب أن توقف حماس على الفور إطلاق الصواريخ على إسرائيل. ولن يتوقف تدهور الوضع إلا إذا توقف الجانبان». وواضح من الكلمات المختارة للتعبير عن العدوان مثل: الصراع المسلح، جميع الأطراف، الجانبان، مدى السقف الذي يتحرك فيه الموقف الصيني كسالفه الروسي.

كما أعرب الرئيس الصيني هو جينتاو يوم الاثنين ٢٠٠٩/١/٥ عن قلقه من الأزمة الإنسانية في القطاع خلال اتصاله الهاتفي مع نظيره الأمريكي جورج بوش: «... الصينيون قلقون للغاية من الأزمة الإنسانية... والنزاع

وتعد إسرائيل حالياً -وحسب تقارير الكونجرس الأمريكي- ثاني أكبر مصدرٍ للسلاح للصين منذ العام ١٩٩٣ بصفقات تتعدى المليار دولار سنوياً

ولذا أدانت الهند رسمياً ما يحدث في غزة، وطالبت بوقف العنف الحاصل هناك دون أن تحمّل الجانب الإسرائيلي مسؤولية ما يحدث، وكان كافيًا أن يعتبر ذلك موقفاً متخاذلاً بالنسبة للقضية الفلسطينية من دولة تدعي ريادة الديمقراطية في العالم الثالث وتدافع عن القيم الإنسانية مثل الحرية والسلام، كما أنها تضم أكثر من ١٦٠ مليون مسلم عبر العديد منهم عن وقوفهم مع شعب غزة وإدانتهم للعدوان الإسرائيلي.

فقد ذكر البيان الصادر من المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الهندية في ٢٧ من ديسمبر ٢٠٠٨ أن «الحكومة الهندية تتابع عن كثب التطورات التي تقع حالياً في قطاع غزة». وذكر البيان أنه «يعي جيداً الاستفزازات عبر الحدود الناتجة عن الهجمات الصاروخية الموجهة ضد أهداف في جنوب إسرائيل»، وبالتالي «فإنها تطالب بالوقف الفوري لاستخدام القوة ضد المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة؛ الأمر الذي أدى إلى وقوع عدد كبير من الضحايا»، وختم البيان الأول بقوله: «تأمل الهند أن يتم دعم الجهود المبذولة حالياً في المنطقة من أجل استعادة السلام»^(٦).

أما البيان الثاني الذي صدر بعد الأول بيومين في ٢٩ من ديسمبر ٢٠٠٨ فقد أوضح أن «الحكومة الهندية تأمل في أن تتوقف العملية العسكرية التي قامت بها إسرائيل ضد أهداف في قطاع غزة، ومن الأمور التي تدعو للإحباط ما نشاهده من استخدام غير مناسب للقوة، الأمر الذي أدى إلى وقوع عدد كبير من القتلى والجرحى بين المدنيين من ناحية وتصعيد العنف من ناحية أخرى. وإن الاستمرار في استخدام القوة بصورة غير تمييزية أمر غير مأمون العواقب ويدعو للإدانة، وتحث حكومة الهند بالعمل على الالتزام بأقصى درجات ضبط النفس لإعطاء فرصة للسلام، حيث إن عملية السلام قد تحيد عن مسارها بصورة يصعب معها الرجوع مرة أخرى في ظل الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة واستمرار العنف»^(٧).

هذا عن الموقف الرسمي. أما الموقف الشعبي فكان أكثر قرباً إلى الشارع العربي والإسلامي. فإبان الحصار على غزة نظمت المنظمات الإسلامية الهندية اعتصاماً بالقرب من مبنى البرلمان الهندي احتجاجاً على الحصار الجائر الذي تفرضه «إسرائيل»، شارك في الاعتصام أكثر من خمسين هيئة من المنظمات الإسلامية في «الهند»، ومن الناشطين في مجال حقوق

حازمة، بينما اختارت بلدان أخرى اتخاذ اتجاه أكثر اعتدالاً. ولم يتمكن العالم العربي المنقسم من الاتفاق فيما بينه، ناهيك عن اتخاذ تصرف ملموس للمساعدة في إعادة إعمار غزة، وتحديد الجانب الذي سيتلقى الدعم.

ويرى بعض المراقبين أن الصين تتجنب أن تتدخل في الشؤون الدولية بما قد يتعارض مع السياسات الأميركية حتى في أشد حالاتها عدوانية، وإذا تدخلت ففي أضيق نطاق ممكن؛ حيث أعلنت أنها تركز على التجارة الدولية، وعلى تنميتها الاقتصادية الداخلية. فالصين لا تُظهر «أنيابها» أو «مخالبها» إلا إذا تعلق الأمر بتايوان أو ببحر الصين والمضائق وربما في محيط كوريا والتسلح الياباني. فالسياسة الخارجية الصينية بعيداً عن هذا النطاق تميل إلى الوفاق مع أميركا. وقد وصل بها الأمر حدًا مستهجنًا في موقفها من العدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزة، حيث بخلت حتى في إدانته، أو إطلاق تظاهرات شعبية ضده^(٩).

ويشير آخرون إلى الدور الإسرائيلي المتنامي في الصين. فبعد أن كانت الصين من أكثر الدول مقاطعة لـ «إسرائيل» على جميع الأصعدة، حيث كانت تعد «إسرائيل» نموذجًا لزراع كيان إمبريالي، وذلك إلى مدة السبعينيات، دفعت التطورات العربية تجاه «إسرائيل» الصين إلى إعادة النظر بعلاقاتها معها. وتعد «إسرائيل» حالياً -وحسب تقارير الكونجرس الأمريكي- ثاني أكبر مصدرٍ للسلاح للصين منذ العام ١٩٩٣ بصفقات تتعدى المليار دولار سنوياً. فترى الصين أنه لا بد من الاستفادة من «إسرائيل» للولوج إلى التكنولوجيا العسكرية المتطورة، وبقيّة القصة معروفة لمن طالعها.

٣- الهند: تحالف مع إسرائيل.. ومواءمات مع العرب.. ومسلمون غاضبون

تعتبر الهند دولة صديقة للقضية الفلسطينية طوال فترة الحرب الباردة، خصوصاً بعد تأسيس حركة عدم الانحياز في أعقاب مؤتمر بانديونج عام ١٩٥٥، وظلت هذه العلاقات قوية إلى أن بدأت العلاقات الهندية الأمريكية في الانفتاح بعد الانهيار السوفيتي، وشهد عام ١٩٩٢ إقامة علاقات رسمية بين الهند وإسرائيل كذلك، وبدأت نيودلهي تقترب من تل أبيب وتدخل معها في تنسيق أمني وعسكري وسياسي، وقد دفع العداء مع باكستان واستمرار المقاومة القومية والإسلامية في كشمير إلى اقتراب أكثر بين الدولتين.

وقد شكل الهجوم على المركز اليهودي في مومباي في هجمات نوفمبر ٢٠٠٨، والتي نالت فنادق وتجمعات مدنية أخرى، نقطة إضافية أخرى في تقريب مصير الدولتين في مواجهة العدو نفسه، ألا وهو «الإرهاب الإسلامي»، على الأقل في تعبير الحلقات المتشددة الهندوسية.

البرية للقطاع على الرغم من نداءات المجتمع الدولي بوقف إطلاق النار بين الجانبين. في الوقت نفسه عبرت اليابان عن قلقها من حقيقة استمرار الضرب الصاروخي من غزة ضد إسرائيل، ثم كانت الدعوة اليابانية لوقف العنف واستخدام القوة من الجانبين^(١٢):

أعلنت اليابان تقديرها ودعمها للوساطة المصرية-الفرنسية، وبررت هذا بحرصها على المدنيين، ثم طالبت حماس بوقف إطلاق الصواريخ وبالرد الإيجابي والسريع على الهدنة. وتوقعت اليابان أن يتم الأخذ بعدد من الضوابط لتحسين الأوضاع الإنسانية في غزة، بما فيها فتح المعابر لدخول المساعدات التي تعهدت باستمرارها للشعب الفلسطيني بما في ذلك مساعدات الطوارئ الإنسانية التي بلغت حوالي عشرة ملايين دولار أمريكي وفق ما عبر عنه رئيس الوزراء «تارو أسو» لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس في الثالث من يناير^(١٣).

وقد عبر رئيس الوزراء الياباني عن قلقه الشديد من الهجوم وقال «إن هذا سيسبب المزيد من تدهور الأوضاع»، وأضاف «أسو» في مؤتمر صحفي بمناسبة العام الجديد: «إنه يُخشى من أن الهجوم سيقوض فرص تحقيق وقف قريب لإطلاق النار». بينما جدد الناطق باسم الحكومة اليابانية تاكيو كاوامورا دعوة بلاده إلى وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس، حيث قال خلال مؤتمر صحفي: «إن العنف يثير العنف، والحدق يغذي الحدق، وأن الحكومة اليابانية قلقة جداً؛ لأن العنف المتزايد يوقع العديد من الضحايا المدنيين، وطوكيو ستواصل مراقبة الوضع بقلق كبير»^(١٤).

وبالتالي نفهم أن اليابان تتعامل مع السلطة الفلسطينية «فتح» دون «حماس» كما هو موقف أغلب الدول الكبرى. ويتضح هذا في تصريحات وزير الخارجية الياباني الذي أكد من قبل دعم بلاده للرئيس محمود عباس وسياساته من أجل تحقيق السلام والاستقرار في المنطقة^(١٥)، بل إن اليابانيين قد توقفوا عن تقديم المساعدات بعد أن شكلت حركة حماس الحكومة الفلسطينية، وتعهدت اليابان بتوصيل هذه المساعدات المالية عن طريق هذه السلطة. فقد جرت اتصالات بين محمود عباس وبين «أسو» تدعو إلى تكثيف مساعي السلطة الفلسطينية لوقف إطلاق النار «في أسرع وقت ممكن»^(١٦).

كما جاء الدور الياباني للمساهمة في تهدئة الوضع في غزة من خلال النقاش في مجلس الأمن من أجل التوصل لاتفاق سلام في الشرق الأوسط بالتعاون مع المجتمع الدولي. ومع هذا يرى مراقبون أن موقف الحكومة اليابانية بقيادة أسو أصبح أكثر وضوحاً واستقلالية في انتقاد إسرائيل وعدوانها على غزة.

الإنسان. وقد أدان المعتصمون المعاملة القاسية وغير الإنسانية المتمثلة في الحصار المفروض على «قطاع غزة» من جانب سلطات الاحتلال، وحث المعتصمون الحكومة الهندية على التدخل لفض هذا الحصار الذي لم يسبق له مثيل، وقال الدكتور «ظفر الإسلام خان» -رئيس تحرير صحيفة «ميلي جازيت» الهندية- إن مشاكل «غزة» لا تقتصر على الحصار فقط، طالما بقي الاحتلال وبقي صمت المجتمع الدولي الذي أنشأ «إسرائيل»؛ فالأمم المتحدة يجب أن تعمل على تنفيذ قراراتها من أجل حل المشكلة الفلسطينية^(٨).

أما خلال القصف فنظم آلاف من المسلمين في الولايات المركزية في الهند مظاهرات حاشدة احتجاجاً على الإبادة الاسرائيلية لأهالي قطاع غزة. وأطلق المتظاهرون شعارات «الموت لأمريكا والموت لإسرائيل والموت لبريطانيا» وطالبوا جيوش الدول الإسلامية بالدفاع عن غزة^(٩). وحمل المتظاهرون لافتات كتب عليها باللغة الأوردية «غزة أصبحت اليوم كربلاء»، و«استشهاد الإمام الحسين وقتل أهالي غزة في شهر محرم الحرام كارثة».

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل تعداه إلى الجزء الواقع تحت الاحتلال الهندي في كشمير؛ حيث أطلقت الشرطة قذائف غاز مسيل للدموع يوم الجمعة لتفريق مئات المسلمين الذين كانوا يحتجون على الغارات الجوية الإسرائيلية على غزة. وأحرق المتظاهرون الغاضبون الأعلام الأمريكية والإسرائيلية بالقرب من المسجد الكبير في كشمير وهم يرددون «يسقط الإرهاب الصهيوني.. تسقط إسرائيل». واشتبكت الشرطة مع متظاهرين يلقون الحجارة في أجزاء أخرى من المدينة، وانطلقت أغلب الاحتجاجات بعد صلاة الجمعة^(١٠).

ويمكن فهم الموقف الهندي في ظل علاقاتها المتنامية مع الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً بعد الصفقة النووية التي وقعتها مع واشنطن مؤخراً، وبالتالي تهيئ نفسها لعقد شراكة إستراتيجية مع أمريكا في إدارة المنطقة لإيجاد توازن ضد التوسع الصيني، وكذلك ممارسة الضغط على القوى الإسلامية المتنامية في المنطقة مثل إيران وباكستان^(١١).

٤- اليابان: بين النفوذ الأمريكي وتحركات شعبية رمزية

جاء الموقف الياباني في ظل الحرب على غزة في صيغة تصريحات وتنديبات رسمية متحفظة، بل ضعيفة وغير موضوعية في بعض الأحيان، هذا بخلاف الموقف الشعبي الذي بدأ أكثر تعاطفاً وانسجاماً مع الحدث.

ويتضح الموقف الرسمي من خلال ما عبرت عنه الحكومة اليابانية في أكثر من تصريح عن طريق وزير الشؤون الخارجية ب«قلقها الكبير» مما يحدث، ومن دخول القوات الإسرائيلية

الموقف الشعبي والإعلامي:

تبادت مجموعة من الأكاديميين الديمقراطيين اليابانيين إلى عقد سلسلة ندوات في مدن طوكيو، وكيوتو، وهيروشيما في الفترة ما بين ١١ و١٦ من ديسمبر ٢٠٠٨. وحملت جميعاً عنواناً شاملاً: «ستون عاماً على نكبة فلسطين»، وشارك فيها باحثون يابانيون مهتمون بالصراع العربي-الإسرائيلي، إلى جانب عدد من الباحثين العرب الذين قدموا دراسات جديدة ومتميزة. دلالة ذلك أن هناك نخبةً يابانية ذات حضور فاعل لدى الرأي العام الياباني ما زالت تُظهر اهتماماً ثابتاً بالدفاع عن القضايا العربية العادلة وفي طبيعتها قضية فلسطين.

يكفي التذكير هنا بما قام به الأستاذ المتميز في جامعة طوكيو، فيوزو إيتاجاكي Yuzo ITAGAKI، بعد مجازر صبرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢. فبعد أن نشرت أولى صور المجزرة التي التقطها المصور الياباني ريوشي هيروكاوا Ryui- HIROKAWA التي تتحرك الرأي العام الياباني بقوة ضد تلك المجزرة. كان هيروكاوا أول مصور صحفي كشف عن هول المجزرة. فالتقط الصور الأولى التي تداولتها وسائل الإعلام العالمية، وقام بعرضها أمام اليابانيين. وكان لعمله هذا أثر واضح في تحريك الرأي العام الديمقراطي في اليابان بقوة؛ مما ساعد على إنشاء محكمة طوكيو الدولية لمحاكمة جرائم «إسرائيل» في لبنان. فعُقدت المحكمة بالفعل وأصدرت إدانته لـ «إسرائيل» في كتاب وثائقي نُشر عام ١٩٨٣ باليابانية والانجليزية، مزوداً بصور هيروكاوا عن تلك الجرائم. ثم أقام لاحقاً معارض عدة وأفلاماً مصورة بعنوان -النكبة: فلسطين ١٩٤٨- كما نظمت تلك النخب عدداً كبيراً من الندوات في مختلف الجامعات والمراكز الثقافية والإعلامية اليابانية للتنديد بعدوان -إسرائيل- على لبنان في صيف ٢٠٠٦.

لكن تلك النشاطات تبقى مغيبة عن الرأي العام العربي والدولي؛ لأن صحف اليابان الصادرة بالإنجليزية لا تشير إليها إلا بشكل مختصر جداً، مع التركيز دوماً على ما تنشره وسائل الإعلام الأمريكية والإسرائيلية. مرد ذلك إلى سياسة اليابان الرسمية الملحقة بالسياسة الأمريكية تجاه مسألة الشرق الأوسط والصراع العربي-الإسرائيلي، وأبرز تجلياته في المرحلة الراهنة في عدوان إسرائيل على غزة الذي لم يحظ إلا بمقالات إخبارية في صحف اليابان الصادرة بالإنجليزية.

تجدر الإشارة هنا إلى افتتاحية مهمة لجريدة أساهي شيمبون Asahi Shimbun واسعة الانتشار، وكانت بعنوان «القصص الإسرائيلية الجوي على غزة»، وقد نشرت بتاريخ ٣٠ من ديسمبر ٢٠٠٨؛ أي بعد ثلاثة أيام من بدء العدوان على غزة. وتضمنت تحليلاً يعبر عن وجهة نظر يابانية منتشرة في أوساط عريضة، رسمية وشعبية.

تبدأ وسائل الإعلام اليابانية بعرض الرواية «الإسرائيلية» التي تشدد على أن «إسرائيل» تحارب ما يسمى الإرهاب الدولي المتجسد بحركة «حماس»، وإيهام الرأي العام الدولي بأن حملتها ضد غزة هي فقط ضد حركة «حماس» التي تمتلك صواريخ كثيرة العدد تطول سكان -إسرائيل-، وتصف الحملة بأنها للدفاع عن النفس، وتندرج في إطار الخطة الأمريكية الشاملة لمحاربة الإرهاب أينما وجد، فالحملة موجهة ضد العسكريين فقط وليس ضد المدنيين.

لكن الافتتاحية تعيد التذكير برواية إسرائيل الخادعة عن حربها على لبنان في صيف ٢٠٠٦ والتي أودت بأكثر من ألف قتيل وآلاف الجرحى، ومليون مهجر، وأن الحرب طالت المدنيين والأطفال والنساء بالدرجة الأولى، مع نسبة ضئيلة فقط من العسكريين. وطالبت المجتمع الدولي بإيقاف الحرب الإسرائيلية فوراً على غزة، مع وقف إطلاق الصواريخ الفلسطينية على إسرائيل، وعلى المجتمع الدولي التحرك بسرعة لوقف العدوان ورفع الحصار الجائر عن غزة وشعبها الذي يعاني المجاعة، والنقص الحاد على مختلف الصعد، وأن على قادة -إسرائيل- التوقف عن استخدام أرواح السكان الأبرياء في معركتهم الانتخابية للحصول على أكبر نسبة من أصوات الناخبين، وأن الرئيس المنتخب باراك أوباما مدعو لكسر الصمت وإعلان موقف واضح من هذه الحرب حتى لا يصبح أسير مخطط الرئيس بوش المنتهية ولايته قريباً، في حربه الفاشلة على الإرهاب الدولي والتي قادت إلى نتائج كارثية على الاقتصاد الأمريكي والاقتصاد العالمي^(١٧).

وتواصلت جهود العديد من المنظمات والهيئات اليابانية في التعريف بمأساة غزة؛ حيث تحول أحد المعابد بوسط طوكيو إلى مسرح يعرض فيلمًا وثائقيًا يشرح نكبة عام ١٩٤٨م^(١٨).

كما تظاهر الآلاف مطالبين الحكومة اليابانية ببذل جهد أكبر لوقف العدوان، ومؤكدين ضرورة استخدام الضغط على الكيان الصهيوني، كوقف المساعدات وغيره.. وانتقد المتظاهرون ضعف دور وسائل الإعلام التي لم تُعطِ المسألة حجمها المطلوب، كما أكدوا أن سبب الحرب ليس دينياً، وإنما هو يعود إلى اعتداء القوات الصهيونية على الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨م. كما حمل اليابانيون رسالة أمل إلى الشعب الفلسطيني؛ تقول إن هناك من يتألم لمأساتكم في واحدة من أبعد العوالم، وعبروا عن ذلك بمسيرتهم الصامتة التي أطلقوا عليها اسم (مسيرة الأمل)؛ التي رفعوا فيها لافتات «لا للقتل والمجازر»، كما رفعوا صوراً تعبر عن هول الأوضاع الإنسانية في غزة وخيبة أملهم إزاء ضعف الدور الياباني.

وأعرب الناشط الياباني مساكي تاكاشي عن أمله في أن تستجيب اليابان لدعوة المتظاهرين لكي تلعب دوراً حيوياً لوقف

الحكومة اليابانية اتخذت موقفاً متحفظاً من وصول حركة حماس إلى السلطة؛ حيث جمّدت المساعدات عندما شكّلت حماس السلطة في متابعته مستديمت للموقف الأمريكي، ثم استأنفتها بعدما شكّلها فياض

مبرزاً الجوانب الإنسانية ومعاناة الشعب الفلسطيني أثناء تلك الحرب وبعدها.

ويتضمن الكتاب مقدمة عامة ونبذة عن تاريخ وجغرافيته، المكان ونبذة عن الصراع الإسرائيلي العربي، ثم مقالا يتناول فيه المؤلف أوضاع قطاع غزة الاجتماعية والاقتصادية أثناء الحصار الإسرائيلي وقبل الحرب، ثم ينتقل المؤلف إلى عرض رسائل بريد الكتروني يومية نقلت معاناة الشعب الفلسطيني ومشاعره وأحاسيسه أثناء العدوان الغاشم، ومن قلب الحدث حين وقوعه. ويشمل وصف الكتاب كل مراحل الحرب بدءاً باللحظات الأولى للعدوان الإسرائيلي، ثم الضربة الجوية وتواصل الغارات، ثم الهجوم البري والتدمير المنهج لآلة الحرب الإسرائيلية وتجريف الأراضي الزراعية وتدمير الصناعة، إلى مرحلة الانسحاب من قطاع غزة، ليختم المؤلف عرض صورة العدوان بتقرير عن أبرز ردود فعل الغزيين الإنسانية ومشاعرهم المختلطة بفرح نهاية الحرب وألمهم جراء بشاعة العدوان، وترجمت الكتاب إلى اليابانية البروفيسورة، ماري أوكا، أستاذة الثقافة الإسلامية والعربية بجامعة كيوتو اليابانية.

وتبرز أهمية الكتاب في نقل مشاهد ومشاعر الناس العزل الأبرياء ومعاناتهم أثناء الحرب، كما دوتها مثقف كان شاهد عيان أثناء الحرب، كما تضمن عشرات الصور للدمار الهائل والمأساة التي أحدثها العدوان التقطتها كل من عدسة المؤلف وعدسة الصحفي الياباني راي شيبا.

جدير بالذكر أن الحكومة اليابانية اتخذت موقفاً متحفظاً من وصول حركة حماس إلى السلطة؛ حيث جمّدت المساعدات عندما شكّلت حماس السلطة وهو ما يمكن تسميته بتصفية حسابات مع حماس لصالح إسرائيل، ثم استأنفتها بعدما شكّلها فياض.

وعندما يعمل العرب من أجل فلسطين في اليابان فإنهم لا يواجهون إسرائيل، وإنما الولايات المتحدة صاحبة النفوذ الأقوى هناك، ويعبر عن ذلك بوضوح البروفيسور أوسامو ميايتا

العدوان الإسرائيلي على غزة، وقد وصف هيروشي تانيا -أحد المنظمين للمظاهرة الحاشدة في طوكيو- ما يجري في قطاع غزة بأنه حمام دم^(١٩).

لكن ما نلاحظه على الموقف الرسمي الياباني أنه يساوي بين الجزار والضحية، بين القاتل والقتيل.. بين الغازي المحتل المعتدي، والمقاوم المحتلة أرضه المدافع عن نفسه. ولكن لماذا جاء الموقف الرسمي الياباني بهذا البرود -إن صح التعبير؟

مما لا شك فيه أن وسائل الإعلام اليابانية غنية بما فيه الكفاية، فعندها مراسلون في الأرض المحتلة، وبعض العواصم العربية، وبالتالي ينقلون حقيقة معاناة الفلسطينيين كما هي^(٢٠)، ولا يستقون معلوماتهم من الإعلام الأمريكي المعروف بانحيازه لإسرائيل، كما أنه لا يوجد يهود في اليابان، وبالتالي لا يوجد لوبي لهم يدافع عن إسرائيل بالحق والباطل مثلما يفعلون في أمريكا وأوروبا، ولكن لدى الإسرائيليين سفارة نشطة في طوكيو أنشط من السفارات العربية مجتمعة، بل هي حريصة على جمع الصحفيين والأكاديميين اليابانيين المهتمين بالشرق الأوسط في أي مناسبة، وتنظم لهم رحلات لإسرائيل وكذلك للطلبة ورجال الأعمال، ومهتمة بشكل خاص بتنمية العلاقات مع شركات التقنية المتقدمة، بل إن العلاقات الدبلوماسية اليابانية الإسرائيلية متحسنة بشكل كبير، ويجب ألا ننسى أنه بعد مرور أسبوع على حرب إسرائيل الهمجية على غزة، تعاطت الصحف اليابانية الصادرة باللغة الإنجليزية بشكل خجول مع غزة وأفردت لها حيزاً ضيقاً في الصفحات الداخلية، مع التركيز بشكل أساسي على الرواية «الإسرائيلية» بشكل خاص، وأعادت نشر ما تصدره بعض مراكز الإعلام الأمريكية والأوروبية بشكل عام^(٢١).

على الجانب الآخر، صدر في العاصمة اليابانية طوكيو، أول كتاب عن الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، لمؤلفه الأكاديمي الفلسطيني البارز في جامعات غزة، البروفيسور سعيد إبراهيم عبد الواحد، أستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن. ويعتبر الكتاب، الذي يؤرخ للحرب الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة، الأول من نوعه لكونه يأتي في وقت قياسي، من جهة ومن جهة ثانية بالنظر إلى مستواه التقني حيث جاء متضمناً صوراً حية، تبرز الوجه البشع للهجوم الإسرائيلي الأخير على القطاع. وترجم الكتاب، الذي جاء باللغة الإنجليزية، إلى اللغة اليابانية. ويعتبر الكتاب، الذي صدر عن دار سيدوشا اليابانية للنشر، عبارة عن مذكرات لمؤلفه، عن أيام عاشها تحت الحصار، يرويها كشاهد الحرب والعدوان على الفلسطينيين في القطاع. ودون كتاب «The Message from Gaza»، الرسالة القادمة من غزة» بالقلم والصورة مختلف مراحل الهجوم الإسرائيلي على غزة، نهاية السنة الماضية وبداية السنة الحالية،

موقف الحكومة الأسترالية الرسمي من العدوان لم يكن يختلف عن موقف الولايات المتحدة؛ لذا أطلقت عبارات اللوم لحماس والدفاع عن الموقف الإسرائيلي

ويمكن رصد المحاور الرئيسية للموقف الأسترالي الرسمي في:

١- الحرب على غزة ليست هجوماً، وإنما هي دفاع إسرائيلي، ورداً على إطلاق حماس للصواريخ.

٢- المسؤولية الأولى في هذه الحرب تقع على حماس؛ لأنها هي التي قامت بتبهييج إسرائيل.

٣- فعل العدوان منسوب لحماس؛ لأنها هي التي نكثت وقف إطلاق النار.

ولكن التأييد السياسي لإسرائيل في حربها لم يؤثر على قيام أستراليا بدورها الإنساني في الحرب، كما أعلن وزير خارجيتها ستيفن سميث Steven Smith: حيث قدمت مع بداية العدوان مساعدات إنسانية بما يفوق خمسة ملايين دولار. وأعلنت دعم إسرائيل في الدفاع عن نفسها مع استثناء للوضع الإنساني باعتبار أنه خطير. لهذا جاء حضور وزير الخارجية مؤتمر إعادة إعمار غزة؛ حيث أعلن منح عشرين مليون دولار لإعادة الإعمار ودعم أستراليا لحكومة أبو مازن. ونلاحظ أن الوضع الإنساني في الحرب لم يتعد مجرد المنح أو التبرعات، ولم يدخل الحلبة السياسية ولم يؤثر على الموقف السياسي لأستراليا.

على عكس ذلك، برز تحرك فعال من قبل منظمات المجتمع المدني والتي استطاعت أن تقيم شبكة فعالة رافضة للحرب على غزة وتحقق تنسيقاً واسعاً فيما بينهما للاصطفاف وراء ضحايا الحرب. ولهذا شهدت أستراليا حراكاً شعبياً واسعاً مندداً بالعدوان.

وكان من أكثر التعبيرات المستخدمة في المظاهرات والاحتجاجات التي اجتاحت أستراليا، وصف ما يحدث في غزة بأنه «مذبحة». وتوجهت التظاهرات إلى الحكومة الأسترالية مطالبة بوقف علاقاتها مع إسرائيل، مع وجود عدد كبير من الخطابات الموجهة إلى رئيس الوزراء الأسترالي جوليا جرالند تطالب الحكومة بالتحرك بقطع العلاقة مع دولة دموية عدوانية.

بعض تلك الخطابات تعدى عددً الموقعين عليها المثات من الأستراليين الراضين للحرب، وكان ذلك مصحوباً بالمطالبة بسياسة خارجية لأستراليا مستقلة عن أمريكا. تنطوي تلك الخطابات على الحديث عن الكارثة الإنسانية في غزة، وكيف تكون إسرائيل دولة استثنائية وفوق القانون الدولي؟ وكيف

Osamu Miyata الاستاذ بجامعة شيزوكا Shizuoka حيث يقول: «لا مجال للاختيار؛ ففي الخارجية اليابانية أعرف عدداً من المتعاطفين والمتفهمين للعرب وحقوق الفلسطينيين، ولكن لا يمكن مقارنة هؤلاء مع الحريصين على علاقات جيدة، بل ممتازة مع الولايات المتحدة، ولو اضطروا للاختيار ما بين العرب والأمريكيين فالاجابة معروفة». ومن هنا نستطيع أن نفهم بُعداً من أبعاد الموقف الياباني الضعيف والهادئ تجاه الحرب على غزة، التي تسيطر عليها حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

هذا الموقف يتطلب تحركاً عربياً واسعاً لمواجهة العدوان بكل الوسائل المتاحة، والاتصال بالمنظمات الدولية والصدقية، ومنها المنظمات اليابانية، لتكثيف حملاتها والضغط على «إسرائيل» والولايات المتحدة ومجلس الأمن، فالمنظمات العربية والدولية مطالبة بتكثيف الضغوط لإجبار «إسرائيل» على وقف العدوان، وكسب أوراق ضغط دولية تجاه الدولة العبرية^(٢٢).

وتتصدر اليابان الدول التي تساعد الفلسطينيين مادياً؛ إذ منحتهم أكثر من ٦.٠٤ ملايين دولار منذ توقيع اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣، أي ما يوازي ١٣٪ من جملة المساعدات الدولية، ولا يسبقها في ذلك سوى الولايات المتحدة، التي قدمت حوالي ١٥٪ من إجمالي الدعم، كما التزمت اليابان في مؤتمر الدول المانحة الذي عُقد بواشنطن عام ٩٨ بتقديم ٢٠٠ مليون دولار أخرى^(٢٣).

ثانياً- مواقف قوى الأطراف الصاعدة: أستراليا وكندا واللاتين

١- أستراليا: تقارب إسرائيلي وتحركات مدنية

بين أستراليا وإسرائيل علاقات خاصة؛ حيث تتشاركان تعاوناً علمياً واسعاً، وتستند تلك العلاقات إلى تبنٍ لقيم أساسية مشتركة للديمقراطية ومؤسساتها؛ وبالتالي فالاتجاه الطبيعي هو تقوية العلاقات بين الحكومتين. كما أن أستراليا تتعهد بالتزاماتها تجاه أمن دولة إسرائيل وعيشها في سلام وتدعيم مشترك لإسرائيل في حربها ضد الإرهاب ومساعدة إسرائيل على الدخول في تشابكات سياسية واقتصادية في منطقة آسيا. بلغ القرب الأسترالي- الإسرائيلي ذروته عندما أعلنت الحكومة الأسترالية مدى إعجابها بالدور الإسرائيلي في الدفاع عن أمنها وتقبلها المخاطر الناتجة عن سعيها للسلام. ويتجسد هذا الموقف الأسترالي من إسرائيل في الاتجاه التصويتي لأستراليا في مجلس الأمن والجمعية العامة.

موقف الحكومة الأسترالية الرسمي من العدوان لم يكن يختلف عن موقف الولايات المتحدة؛ لذا أطلقت عبارات اللوم لحماس والدفاع عن الموقف الإسرائيلي نفسها. ولتأكيد الحكومة الأسترالية موقفها أعلن Kevine Rudd من واشنطن رؤيته لدور الولايات المتحدة في الشئون الدولية «بأنها تعمل على اكتتاف القوة للأفضل».

المعارضة الكندية والصحافة تسير على نهج المحافظين: زعيم المعارضة الكندية الليبرالية مايكل اجناتلف أعلن أن حماس منظمة إرهابية، مؤكداً حق إسرائيل في قتل الضحايا الفلسطينيين حتى تتخلى حماس عن مطالبها

٣- Stop the War Coalition (٢٦):

كشكل من التسجيل والتنسيق لجهود بعض الفاعلين المدنيين؛ حيث أطلقوا حملة «أوقفوا الحرب على غزة»؛ مطالبين بالحرية لغزة والفلسطينيين على غزة. ونجد نشاط تلك الحملة كان شديد الوطأة في مدينة ملبورن التي شهدت نشاطاً واسعاً مضاداً للحرب على غزة بغرض تجاوز ١٠٠٠٠ شخص متظاهر. هذا بالإضافة إلى بعض حركات السلام التي خرجت إلى الشوارع لإدانة إسرائيل وأعمالها البربرية.

ولكن ذلك لم يمنع خروج بعض المظاهرات المؤيدة لإسرائيل، من بعض يهود أستراليا ولكنها لم تتجاوز العشرات.

٢- الموقف الكندي: بين محافظين مؤيدين ومواطنين رافضين

يتشابه الموقف الكندي كثيراً مع الموقف الأسترالي. فثمة مجموعة من المبادئ الأساسية والثابتة تشكل السياسة الكندية تجاه ما يحدث في الصراع العربي-الإسرائيلي، يمكن إجمالها في:

١- دعم حق إسرائيل في السلام مع جيرانها بحدود أمنة، والاعتراف بحق إسرائيل في الحفاظ على أمنها، وحققها في أن تأخذ كل التدابير اللازمة طبقاً لحقوق الإنسان والقانون الدولي بأن تحمي أمنها ومواطنيها من الهجمات الإرهابية.

٢- حرص كندا على علاقات قوية مع إسرائيل من منطلق القيم الديمقراطية.

٣- دعم قوى من كندا لسلام شامل قائم على «حل الدولتين».

٤- لا تعترف بضم أحادي للقدس من جانب إسرائيل. وموقفها من اللاجئين الفلسطينيين هو احترام حقوقهم.

٥- عدم الاعتراف بسيطرة إسرائيل على الأرض المحتلة عام ١٩٦٧.

تحرص كندا على الصداقة الإسرائيلية؛ وذلك في إطار من علاقات ثنائية قوية ودعم كندي قوي لإسرائيل منذ نشأتها في

تدعمها أستراليا وهي لا تحترم حقوق الإنسان والقانون الدولي؟

هذا بالإضافة إلى أن هناك بعض الكتاب والأدباء الذين وصفوا العدوان بأنه «غير إنساني»، وأنه «عدوان ممقوت وكريه»، وقد أعلن اثنان من الوزراء الفدراليين رفضهما للعدوان. ونجد أيضاً من بين من أرسل خطابات إلى رئيس الوزراء مؤسسة سيدني للسلام، وعدداً من الشخصيات ذات صفة سياسية؛ مثل خطابات اثنين من السيناتورات الخضر في البرلمان الأسترالي في أثناء حديث لهما أمام لجنة المساعدة الرئيسية؛ حيث تضمن:

- استنكار ما قامت به أستراليا من تهينة إسرائيل بالذكرى الستين.

- وصف ما يجري في غزة بأنه مذبحه بحق الإنسانية.

أما إذا جئنا إلى دور المنظمات غير الحكومية في أستراليا، فنجد أن هناك حوالي أكثر من (٢٥) منظمة غير حكومية داخل أستراليا أدانت العدوان على غزة، وقام بعضها بتنظيم المظاهرات والوقفات الاحتجاجية، بالإضافة إلى إرسال خطابات لمناسبة رئيس الوزراء إدانة العدوان على غزة، والدعوة لتحرك أسترالي دولي للضغط على إسرائيل لوقف العدوان ومساعدة ضحايا الحرب. حتى كان منها منظمات تابعة ليهود أستراليا خرجت في مظاهرات لإدانة الحرب مثل منظمة women for peace وهي منظمة عالمية تربط بين نساء يهوديات في عدد من أنحاء العالم وقد أدانت الحرب بشدة. ومن أهم تلك المنظمات:

١- socialist alliance (٢٤):

قادت عدداً من المظاهرات الضخمة، وحملة ضخمة على موقعها على الإنترنت لإيقاف الحرب، وتعاونت مع حملات المقاطعة لإسرائيل التي قادها بعض الأقلية العربية، وأعلنت:

- أن إسرائيل دولة عنصرية: «الأبارتهايد الإسرائيلي»؛ وبالتالي لا بد من مقاطعتها وإيقاف أي علاقات معها.

- الاستمرار في الاعتراض والتظاهر إلا أن ينتهي الحصار الإسرائيلي الإجرامي لغزة، وليس التوقف عند حد وقف إطلاق النار، فليس معنى ذلك انتهاء الحرب؛ لأن الحصار مستمر.

- ليس من حق إسرائيل عقاب الشعب الفلسطيني على اختياريهم حماس وضرورة حذف حماس من لائحة الإرهاب والاعتراف بها كسلطة شرعية.

٢- Green Left (٢٥):

كان تركيزهم على فكرة «التطهير العرقي» التي تتبعها إسرائيل في غزة، بالإضافة إلى مشاركتهم في المظاهرات الاحتجاجية.

في إعادة بناء ما تم تدميره وتقديم المساعدات الإنسانية «بشرط ألا تتسلمها حماس».

المعارضة الكندية والصحافة تسير على نهج المحافظين: زعيم المعارضة الكندية الليبرالية مايكل اجناتلف أعلن أن حماس منظمة إرهابية، مؤكداً حق إسرائيل في قتل الضحايا الفلسطينيين حتى تتخلى حماس عن مطالبها، وأنه يجب على كندا تدعيم حق الدولة الديمقراطية في الدفاع عن نفسها. فإسرائيل تتم مهاجمتها من غزة منذ عشر سنوات ماضية من قبل منظمة إرهابية. حتى تقديم المساعدات الإنسانية يجب أن يكون مشروطاً بتخلي حماس عن مطالبها^(٣١).

أما حزب اليسار الكندي (الحزب الديمقراطي الجديد) فقد التزم الصمت بشأن ما يحدث في غزة، وكل ما تحدث بشأنه هو إنهاء جميع العداءات والنزاعات، دون أي إدانة لإسرائيل أو تأييد.

لم تختلف الصحافة الكندية عن حكومة المحافظين: حيث إن حماس هي التي اخترقت الهدنة مع إسرائيل وأن إسرائيل لديها الحق في عدم إنهاء الحرب.

الموقف الشعبي: بالرغم من هذا التأييد الحكومي والحزبي للحرب على غزة، إلا أن ذلك لم يمنع الألقا من الكنديين ومنظمات غير حكومية من إعلان رفضهم الحرب على غزة؛ حيث تميز الموقف الشعبي الكندي بخروج أعداد كبيرة من المظاهرات، والتي لم تشهدها كندا منذ عقود كما جاء على لسان الصحافة الكندية نفسها. وكانت تتجه بمطالبها إلى الحكومة الكندية ودعوتها للضغط على إسرائيل لوقف العدوان وقطع العلاقات معها، ورفع لافتات تصف ما يحدث في غزة بأنه «مذبحة غزة». وتم أيضاً تنظيم العديد من الوقفات الاحتجاجية في مدائن كندية رئيسية^(٣٢).

٣- الموقف اللاتيني: فنزويلا والبرازيل نموذجا:

كانت أمريكا اللاتينية من أكثر المناطق التي قدمت دعماً سياسياً وليس فقط لفظياً لغزة، بداية من إدانة العدوان والرفض لما تفعله إسرائيل، وصولاً إلى تأييد المقاومة وشجب التواطؤ الأمريكي والغربي والدولي مع العدوان. لقد تجسد هذا الدعم السياسي في أفعال وتحركات على المستويات. ويرجع البعض هذا الموقف اللاتيني العام إلى السياسات التي بدأت تنتهجها كثير من دول أمريكا اللاتينية تجاه الولايات المتحدة وسياساتها، ورفضهم الهيمنة الأمريكية من خلال العودة إلى المبادئ التحريرية التقدمية اليسارية، وخصوصاً مع وصول اليسار للحكم في عدد من دول أمريكا اللاتينية. وفيما يلي إطلالة على نموذجين من هذه الدول يعبران عن حركة داخلية ودولية مهمة لهذه القارة.

١٩٤٨، وعلاقات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية قوية؛ حيث يجمع بين البلدين اتفاقية للتجارة الحرة والعديد من الاتفاقيات التجارية والتبادل. وفي احتفال إسرائيل بمرور ستين عاماً على إنشائها أرسلت كندا ممثلاً لها^(٣٧).

ولذلك ظهر تأييد كندا لإسرائيل في حربها ضد حزب الله في حرب يونيو ٢٠٠٦؛ حيث اعتبرت حزب الله منظمة إرهابية تعمل خارج سيطرة الدولة اللبنانية؛ ولذلك فمن حق إسرائيل الدفاع عن نفسها. كما أن كندا كانت من أوائل الدول التي رفضت وصول حماس للسلطة وأعلنت عدم تعاونها معها إلا بشرط اعتراف حماس بإسرائيل وقبولها بجميع المعاهدات الدولية والتخلي عن العنف. كما أنها تتعامل مع حماس كمنظمة إرهابية حيث أعلنت أن كلا من حزب الله وحماس، وكتائب شهداء الأقصى والجهاد الإسلامي منظمات إرهابية.

أعلنت الحكومة الكندية المحافظة تأييدها الكامل لإسرائيل في حربها على غزة^(٣٨)؛ حيث كان الموقف الكندي صدى صوت لمبررات إسرائيل للحرب وللموقف الأمريكي الصادر من واشنطن، وإلقاء اللوم على الفلسطينيين وحماس.

حيث جاء ذلك أثناء تصريحات وزير الخارجية لورانس كانون التي أعلن فيها التأييد الكامل للهجوم الإسرائيلي^(٣٩)، قائلاً: «لإسرائيل الحق الكامل في الدفاع عن نفسها ضد استمرار صواريخ الجماعات المسلحة الفلسطينية والتي تتعمد المدنيين عن قصد، ويجب إيقاف تلك الصواريخ»، وأن «حماس تتحمل المسؤولية المرعبة عما يحدث وعن المسألة الإنسانية، ولا بد من تحملها مسؤولية إيقاف إرهاب الصواريخ على إسرائيل»^(٤٠).

وبالتالي عندما أعلنت إسرائيل وقف إطلاق النار، رحبت الحكومة الكندية بالقرار، ولكن أعلنت أن وزارة الدفاع الإسرائيلي لها الحق في مواصلة الهجوم، لقمع الصواريخ الفلسطينية. حيث جاءت التصريحات على نحو: «هناك ترحيب بما تبديه حماس من إرادة في تطبيق وقف إطلاق النار، وذلك تقدم نرحب به، لكن في إطار توقف سريع وإلزامي من قبل حماس وباقي المجموعات المسلحة عن إطلاق الصواريخ على إسرائيل. عدوانهم ضد المدنيين الإسرائيليين الأبرياء لا يحقق أي تقدم في المصالح الفلسطينية».

كما أعلنت كندا استعدادها للعمل مع المجتمع الدولي لمنع تهريب السلاح إلى غزة. وفي أثناء جولته في المنطقة بعد وقف إطلاق النار (حيث قام بزيارة الأردن وإسرائيل والتقى الرئيس الفلسطيني، ثم توجه إلى مصر لحضور مؤتمر إعادة إعمار غزة)، أعلن وزير الخارجية أن سبب زيارته هو تفعيل العلاقات مع إسرائيل، وتدعيم كندا لحكومة أبو مازن، واستجابة كندا للوضع الإنساني في غزة ومساعدة المدنيين الأبرياء الذين تضرروا في غزة، ورغبة كندا في القيام بدور

منذ وصول هوجو شافيز إلى السلطة نستطيع أن نفهم ونفسر حماسة فنزويلا ورئيسها لقضايا العالم الثالث الذي يراه «عالم المضطهدين» الذي يسعى للدفاع عن مصالحه في مواجهة الهيمنة والأمركة والعولة والاستغلال المنظم الذي تمارسه الاحتكارات العالمية. فقد اتخذت فنزويلا خطوات غير عادية ومن قبلها تصريحات ومطالب أهلتها لموقف متميز أدى إلى إحراج عدد من الأنظمة العربية والإسلامية أمام شعوبها، لدرجة أن البعض نعت فنزويلا بـ«الجمهورية العربية»، وطالب آخرون الرئيس الفنزويلي بتولي رئاسة الجامعة العربية.

عبرت وزارة السلطة الشعبية للعلاقات الخارجية بجمهورية فنزويلا في السادس من يناير عما أسمته بـ«حالة رعب جديدة تتمثل بموت الأطفال والنساء الناتج عن احتلال القوات الإسرائيلية لقطاع غزة»، وأسمنت ما تقوم به الدولة الصهيونية بإرهاب الدولة.

وبناء عليه جاء الموقف الفنزويلي -الجرىء وغير المتوقع- الذي اعتُبر أول تحرك دبلوماسي صارم تتخذه واحدة من الدول التي تربطها علاقات بإسرائيل، بطرد سفير الكيان الصهيوني في كراكاس «شلومو كوهين» مع ستة موظفين آخرين احتجاجاً على الهجوم العسكري. ثم في ١٥ من يناير جاء الموقف الفنزويلي أكثر تصعيداً: حيث قطعت وأوقفت الحكومة الفنزويلية علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني بشكل مطلق كما جاء في بيان وزارة السلطة الشعبية. وجاء في البيان أن «الجمهورية الفنزويلية وانسجاماً مع رؤيتها لعالم مسالم وللضامن واحترام القانون الدولي، قررت بشكل نهائي قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل»، وبرتت كراكاس قرارها بـ«الاضطهاد غير الإنساني الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني من قبل سلطات إسرائيل»، وأضاف البيان أن «إسرائيل رفضت باستمرار الأخذ بالاعتبار دعوات الأمم المتحدة منتهكة بشكل مكرر ومخز القرارات التي أقرتها الأمم المتحدة»، مضيفاً أن «إسرائيل تبعد نفسها أكثر وأكثر يومياً عن القانون الدولي».

واعتبر وزير الخارجية الفنزويلي «نيكولاس مادورو» ما تقوم به إسرائيل في غزة عملاً نازياً يعد أفظع من المحرقة اليهودية. وقال مادورو إن إسرائيل باستهدافها المتعمد لمدرسة الأونروا تتحدى المجتمع الدولي. وأضاف أن الإسرائيليين دمروا المدرسة بأحدث الأسلحة بشكل متعمد، واتهم إدارة الرئيس الأميركي المنصرف جورج بوش بالوقوف وراء ما يحدث لأهل غزة، مذكراً في هذا الصدد بما تعرض له الفلسطينيون في عهد هذه الإدارة. وحمل الولايات المتحدة وإسرائيل مسئولية تسميم الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر

شافيز للصحفيين: كم هو جبان

الجيش الإسرائيلي يهاجم أناساً وهم

مرهقون ونيام وأبرياء ويتفاخر بأنه

يدافع عن بلاده، وأنا أدعو الشعب

الإسرائيلي بأن يثور ضد حكومته

عرفات ومحاصرة غزة والعدوان الحالي الذي وصفه بالإجرامي.

أما السفير الفنزويلي في القاهرة «فيكتور كاراسو» فجاءت تصريحاته نارية هو الآخر، فقال إن بلاده كانت تتمنى لو كان بإمكانها أن ترسل جيشاً للدفاع عن الفلسطينيين في قطاع غزة لمساعدتهم على مواجهة العدوان الإسرائيلي الظالم الذي يتعرضون له، وألا تكتفي بإرسال مساعدات إنسانية فقط. وأوضح «كاراسو» بمدينة العريش المصرية (حيث جاء لاستقبال طائرة مساعدات إنسانية مقدمة من بلاده للشعب الفلسطيني في غزة) أن هذه المساعدات هي أقل ما يمكنها أن تقدمه كراكاس للفلسطينيين في غزة للتعبير عن تعاطفها معهم، وتأييدها لهم. وأشار إلى أن فنزويلا بدأت تتحرك لحشد التأييد لغزة على مستوى «الأمم العالمية»، وأكد السفير الفنزويلي أن بلاده لا تخشى من أي تبعات لقرارها بطرد السفير الإسرائيلي، مشدداً على أن فنزويلا تعتبر صراحة أن ما تقترفه إسرائيل من جرائم في قطاع غزة هو الإرهاب بعينه، الذي يمارس ضد شعب طالب بأقل قدر من حقوقه، وهو العيش بأمان على أرض وطنه^(٣٣).

أما الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز فقد سبق طرد السفير الإسرائيلي بتصريحات صارمة نعت فيها الجيش الإسرائيلي «بالجبان» بسبب «عدوانه» على قطاع غزة، وقال إن شعب إسرائيل يجب عليه أن يتظاهر ضد هذا العدوان. وأضاف شافيز للصحفيين: «كم هو جبان الجيش الإسرائيلي؛ فهو يهاجم أناساً وهم مرهقون ونيام وأبرياء ويتفاخر بأنه يدافع عن بلاده، وأنا أدعو الشعب الإسرائيلي بأن يثور ضد حكومته». ولم يكتف تشافيز بهذا بل دعا إلى محاكمة الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز والرئيس الأميركي المنصرف جورج بوش بتهمة «الإبادة الجماعية» في محكمة العدل الدولية. وقال: «ينبغي جرّ الرئيس الإسرائيلي إلى محكمة دولية ومعه الرئيس الأميركي، لو كان لهذا العالم ضمير حي.. يقولون إن الرئيس الإسرائيلي شخص نبيل يدافع عن شعبه! أي عالم عبثي هذا الذي نعيش فيه^(٣٤)؟!».

وبعث الرئيس الفنزويلي برسالة إلى مهرجان تضامني مع الفلسطينيين في مدينة «نتسيرت عيليت» المحاذية لمدينة الناصرة

«ينبغي جرّ الرئيس الإسرائيلي إلى محكمة دولية، ومعه الرئيس الأمريكي، لو كان لهذا العالم ضمير حي.. يقولون إن الرئيس الإسرائيلي شخص نبيل يدافع عن شعبه! أي عالم عبثي هذا الذي نعيش فيه؟» - شافيز

٥- دعوة الدول المحبة للسلام والعدالة لرفع أصوات الاحتجاج ضد هذا العدوان.

٦- دعوة يهود فنزويلا إلى إدانة العدوان.

أما الأفعال الفنزويلية فتتلخص في:

١- إدانة العدوان الإسرائيلي بقوة ووصفه بكل صفات القبح، وكذلك الموقف الأمريكي.

٢- طرد سفير الكيان الصهيوني وعدد من العاملين معه، ثم قطع العلاقات الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني.

٣- مد جسر جوي من المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة تمثل في إرسال طائرة للقوات المسلحة الفنزويلية محملة بـ ١٢,٥ طن من المساعدات الإنسانية كدفعة أولى، وتتضمن مهمة المساعدات الإنسانية الفنزويلية (٤٠) طبيياً وعملاً طبيياً. ثم قافلة مكونة من ثمانين شاحنة تقل نحو (٨٠) طنّاً من الأدوية والمساعدات الطبية والغذائية والمياه لتلوا دفعات أخرى.

٤- رفع الأعلام الفلسطينية على كل مقار المجالس التشريعية في المحافظات والبلديات الفنزويلية.

٥- إجراءات قانونية تعدها الحكومة والهيئات القانونية الفنزويلية من أجل محاكمة قادة إسرائيل كمجرمي حرب أمام المحكمة الجنائية الدولية والعمل على ملاحقتهم لمحاكمتهم.

٦- عقد شافيز اجتماعاً مع كبار ممثلي المجلس اليهودي العالمي لرفض هذه السياسات الإجرامية لدولة إسرائيل.

٧- مظاهرات شعبية عارمة في مدن وولايات فنزويلا للتنديد بالعدوان الإسرائيلي.

تداعيات الموقف الفنزويلي على المنطقة العربية:

جاء أول رد فعل للموقف الفنزويلي من دولة الكيان الصهيوني؛ حيث قررت تل أبيب طرد القائم بالأعمال الفنزويلي رداً على طرد سفيرها في كراكاس. أما الموقف العربي الرسمي فلا نكاد نعرف له أي رد فعل أو شكر أو تحية أو مساندة

في الجليل بشمال إسرائيل؛ حيث حيا الشعب الفلسطيني بقطاع غزة، وعبر عن «الدعم لأولئك الذين يعانون الاحتلال»، وقال شافيز في رسالته: «رغم أنه لا توحدنا أمة واحدة، لكن ما يوحدنا أكثر هو أمر أقوى وهو المواقف الموحدة لنا جميعاً، فالدماء المسفوكة في غزة هي دماء البشرية». وأضاف: «فنزويلا تُقبلكم فرداً فرداً، وتؤكد تمسكها برأيها وتدعم الشعب الفلسطيني وأولئك الذين يعانون الاحتلال»^(٣٥).

وحين زعم الإسرائيليون بأنهم حققوا انتصاراً في غزة، رد عليهم بقوله: «وأنا أستغرب حديث الإسرائيليين عن الانتصار، وأتساءل: عن أي انتصار يتحدثون؟ لقد انتصروا على مباني غزة لكنهم عجزوا عن كسر إرادة حركة التحرر الكفاحية والمقاومة المشروعة فيها، كما سبق أن عجزوا عن كسر إرادة اللبنانيين في عدوان إسرائيل الأخير على لبنان»^(٣٦).

أما الشعب الفنزويلي فجاء ردود فعله على قدر الحدث. فقد شهدت معظم الولايات والمدن الفنزويلية مظاهرات شعبية عارمة تنديداً بالعدوان الصهيوني، بل ووصل الأمر إلى أن أصدر المجلس الوطني التشريعي الفنزويلي قراراً برفع الأعلام الفلسطينية على كل مقار المجالس التشريعية في المحافظات والبلديات الفنزويلية تنديداً بالمجازر البشرية الإسرائيلية.

وقد اجتمع متظاهرون غالبيةهم من الفنزويليين العرب من أنصار الثورة الاشتراكية في فنزويلا أمام مقر سفارة الكيان الصهيوني في كراكاس احتجاجاً على العدوان الصهيوني. وحمل المتظاهرون أعلاماً فنزويلية وفلسطينية وأحرقوا علماً إسرائيلياً وقطعة قماش رسم عليها مجموعة من أعلام الولايات المتحدة الأمريكية، هاتفين: «فاشية ومجرمة وإرهابية: إسرائيل». جدير بالذكر أنه لدى إعلان وزير الخارجية الفنزويلي نيكولاس مادور وقرار طرد السفير الإسرائيلي، صاح أحد الحاضرين من أبناء الشعب الفنزويلي: «انتظري يا غزة، إن الشعوب تنهض»^(٣٧).

ونستطيع أن نُجمل مواقف الدولة الفنزويلية من الحرب علي غزة في نقاط تأتي على رأسها: مطالب وأفعال. أما المطالب الفنزويلية فتتلخص في:

١- عقاب المسؤولين عن الجرائم.

٢- العمل من خلال بعثة فنزويلا وعدد من الدول الأخرى لدى منظمة الأمم المتحدة للضغط على مجلس الأمن الدولي لتطبيق إجراءات عاجلة وضرورية لوقف العدوان.

٣- إطلاق حملة هائلة أمام المجتمع الدولي لرفض هذه الأعمال الفظيعة والعنيفة.

٤- مناقشة الأمم المتحدة حماية غزة ووضع خطة مساعدات إنسانية للقطاع.

«بمثابة تقدير واحترام لفرنزويلا رئيساً وحكومة وشعباً» وهو أيضاً «رسالة إلى كل العالم مفادها أن إسرائيل دولة معتدية ويجب فرض عقوبات عليها»، معرباً عن أملة في «ارتقاء المواقف الأخرى إلى مستوى الموقفين التركي والفرنزويلي»^(٤٠).

- وفي سوريا ثمن الحزب السوري القومي الاجتماعي في بيان له ما أسماه بـ«الموقف الشجاع والتاريخي للرئيس الفرنزويلي هوجو شافيز الذي طالب بإحالة قادة العدو الصهيوني والرئيس الأميركي جورج بوش أمام محكمة الجنايات الدولية لإرتكابهم المجازر ضد أهل غزة». ورأى الحزب «أن القرار الذي اتخذته الحكومة الفرنزوييلية بطرد السفير الإسرائيلي من فنزويلا، يعبر تعبيراً صادقاً عن التضامن الفعلي والحقيقي مع أبناء شعبنا في غزة وفلسطين الذين يواجهون عدوان إسرائيل ومجازرها الوحشية التي لا تميز بين الأطفال والنساء والرجال». وأضاف البيان «إن الموقف الفرنزوييلي هذا، سيرسخ في وجدان المقاومين في فلسطين ولبنان والعراق والأمة كلها، وفي وجدان كل أحرار العالم، وسيسجل التاريخ أن حكومات عربية بعينها، تقيم علاقات مع إسرائيل لم يرف لها جفن ولم يهتز لها وجدان، جراء ما يحدث في غزة من مجازر ومذابح وإجرام، ولم تجرؤ على طرد سفير صهيوني أو أن تقطع علاقاتها بإسرائيل، لا بل إن هذه الحكومات أظهرت ما هو أكثر من التواطؤ. لقد أظهرت في سلوكها وممارساتها ومواقفها تأمراً مكشوفاً على ذبح أهلنا وأطفالنا في غزة وفلسطين، متجاهلة صرخات الوجد والغضب التي تردت أصدائها في كل الساحات العربية والعالمية». وأكد الحزب، أنه «لو كان هناك ذرة من كرامة لدى الحكومات العربية المتواطئة والمتأمرة، لكان الموقف الفرنزوييلي الحر، استحث هذه الحكومات على اتخاذ مواقف مماثلة حتى ولو آتت هذه المواقف متأخرة، لكن للأسف لا يصح في هذه الحكومات إلا القول «ناديت لو أسمعت حياً لكن لا حياة لمن تنادي»^(٤١).

- وفي الأردن عبّر العشرات من ناشطي الحزب الشيوعي الأردني والقوى اليسارية عن تقديرهم لموقف الرئيس الفرنزوييلي «هوجو شافيز» بطرده السفير الإسرائيلي من كراكاس عبر قذفهم لسفارة بلاده في العاصمة عمان بالورود، وتزيين مداخلها بباقات الزهور. ورفع الناشطون صورة كبيرة للرئيس هوجو شافيز وتشي جيفارا كتبوا في أعلاها «الحلم العربي». وقال الكاتب والناشط اليساري د. هشام بستاني إن هذه الوقفة تأتي لتحية حكومة فنزويلا والرئيس شافيز على موقفه بطرد السفير الإسرائيلي. وتابع

للدولة الفرنزوييلية على موقفها، سوى بعض التسهيلات على حدود غزة لدخول المساعدات عبر معبر رفح المصري^(٣٨). لكننا رصدنا عدداً من مواقف القوى السياسية العربية والشعبية كانت قد حيت الموقف الفرنزوييلي، واعتبرته «تعرية» للأنظمة العربية، خاصة تلك التي رفضت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل:

- ففي فلسطين المحتلة أصدرت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بياناً أشادت فيه بموقف فنزويلا، وعبرت عن تميمها لقرار طرد السفير الإسرائيلي. ووصف البيان الخطوة بالشجاعة وحيث الشعب الفرنزوييلي ورئيسه هوجو شافيز، معبرة في المقابل عن استهجانها لإبقاء دول عربية على سفراء إسرائيل^(٣٩).

- وفي الضفة الغربية حظي الرئيس الفرنزوييلي هوجو شافيز بمقدار كبير من هتافات الإشادة التي أطلقها المشاركون للتضامن مع قطاع غزة، كما نالت الأنظمة العربية نصيبها من عبارات الانتقاد والمطالبات بالاعتداء بالموقفين الفرنزوييلي والتركي. ففي جمعة الغضب صبّ الفلسطينيون جام غضبهم على الاحتلال ثم على الأنظمة العربية بما فيها السلطة الوطنية الفلسطينية، في حين أشادوا بصمود غزة ومواقف الرئيس الفرنزوييلي هوجو شافيز الذي طرد السفير الإسرائيلي من بلاده، ورفعوا العلم الفرنزوييلي في المظاهرة تحية واحتراماً وتقديراً لموقفها الراقي. في مسيرة رام الله - التي شاركت فيها أعداد كبيرة من النساء الفلسطينيات - المشاركون هتافات تشدد على الوحدة العربية مثل «من غزة حتى بيروت، شعب حي لن يموت»، مع عبارات الانتقاد للحكومات العربية لاسيما تلك التي تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، مطالبين تلك الحكومات بإغلاق السفارات وقطع تلك العلاقات. وقد عنونت المسيرة رسالتها إلى السلطة الفلسطينية بالقول «يا سلطة وطنية.. لا للقمع والاعتقال.. بدنا دولة واستقلال». ورأى أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية د. عبد الستار قاسم في حديث للجزيرة نت أن رفع العلم الفرنزوييلي «عرفان بالجميل لرجل لبي طموحات الإنسان العربي الفلسطيني الذي يتمنى أن يكون لديه رئيس جري، وشجاع مثله» في السياق ذاته اعتبر حسن خريشة - القائم بأعمال أمين سر المجلس التشريعي - أن حضور صور شافيز في رام الله «إكرام لرجل تأثر بهول ما يجري في قطاع غزة أكثر من الزعامات العربية». مضيفاً أن هذا الرئيس أصبح يتعامل مع القضية الفلسطينية على أنها ليست قضية مركزية للعرب فحسب وإنما «قضية أممية تستوجب التعاطف». في الاتجاه نفسه اعتبر سكرتير المبادرة الوطنية النائب مصطفى البرغوثي أن رفع الأعلام الفرنزوييلية

مع دول البرازيل والأرجنتين وتشيلي وبوليفيا والإكوادور والأقليات العربية لمحاولة خلق نوع من التكتل المضاد لإسرائيل، وكنوع من الضغط الدولي على المعتدين.

البرازيل والبحث عن دور عالمي؛

أصبحت البرازيل واحدة من أكبر ديمقراطيات العالم التي تسعى لبناء اقتصادي قوي. ومع رئاسة الرئيس لولا دي سيلفا يتطلع البرازيليون إلى دور كبير في الشؤون العالمية وصوت قوي في صندوق النقد والبنك الدولي والأمم المتحدة.

أما عن الموقف من العدوان على غزة فقد ظهرت البرازيل بموقف الموازن للأمر؛ من خلال تحركات وزير خارجيتها في المنطقة أثناء الحرب وبعدها؛ حيث أعلنت البرازيل عن استعدادها للمشاركة في عملية السلام في المنطقة «بقواتها» إذا كان ذلك ضمن قوات الأمم المتحدة. وأعلن أن جولته من أجل السعي لوقف إطلاق النار بين غزة وإسرائيل. ولكن ذلك لم يمنع الحكومة البرازيلية من إدانة العدوان؛ حيث أعلن وزير الخارجية سيلسو أمارين أنا ذاهب إلي غزة، ليس لأن الرئيس أرسلني ولكن من أجل أطفال غزة الأبرياء ومواطنيها الذين يتعرضون لمذبحة بواسطة الغزاة»، كما وصفت الحكومة البرازيلية العدوان على غزة بأنه «غير متناسب» من إسرائيل.

ثم كان حضور مؤتمر شرم الشيخ لإعادة إعمار غزة؛ حيث ضمن خطابها تأكيد إعادة تجديد حل إنشاء دولة فلسطينية قابلة للحياة تعيش بسلام بجوار إسرائيل، وذكر أنه من ضمن المعوقات الخطيرة لحل الدولتين هو امتداد توسيع الاستيطان الإسرائيلي والاستخدام المستمر للعنف والذي لا بد من إيقافه سريعاً وتدعيم اتفاقيات أنابولس وأعلن عن المشاركة البرازيلية بعشرة ملايين دولار لإعمار غزة.

من ناحية أخرى فإن الحرب على غزة حركت الشارع البرازيلي؛ حيث خرج مئات من المتظاهرين ضد الحرب، كما نلاحظ بضع حركات للتضامن مثل حركة «التضامن مع غزة»، ونجد أن أعضاءها معظمهم من أنحاء تجارية وأحزاب يسارية، وقد أعلنوا أن ما يحدث في غزة «كارثة وهولوكست».

ورفض بعض اليهود البرازيليين الحرب مثل منظمة Amts-reali وقالوا: حماس إرهابية، لكن للفلسطينيين الحق في الوجود والحياة، كما أن الهجوم الإسرائيلي على غزة غير متناسب مع هجمات حماس.

خاتمة؛

وبعد هذه التوافقة الرصدية على نطاقات جغرافية وسياسية واسعة، يمكن ملاحظة بعض من وجوه المقارنة والمقاربة في المواقف بين الدول الأربع التي تمثل قوى الشرق الكبرى ذات الرصيد السياسي والاقتصادي وربما العسكري

أن «مبادرة شافيز لم يتمكن أن يقوم بها أي من الزعماء العرب الذين تذل عواصمهم السفارات الصهيونية. نأمل أن يكون موقف شافيز صفة في وجه كل الزعماء العرب الذين يتفرون بدم بارد ويتواطؤون في قتل أهلنا في غزة». وحيث محمد عبد المهدي وهو ناشط كان يلبس قبعة تحمل علم فنزويلا حضر لتحية موقف كراكاس وشافيز، وقال وهو يقذف السفارة بالورود: «هناك سفارات تقذف بالورود وأخرى بالأحذية». وتابع للجزيرة نت: «نحن الآن أمام سفارة ليست عربية وتبعد دولتها عنا آلاف الأميال، ولكن هناك موقف فنزويلي مشرف يساند أهل غزة وأطفالها الذين يموتون: بينما هناك معبر عربي يغلِق». وكان الأمين العام لجبهة العمل الإسلامي زكي بني أرشيد قد وجه رسالة شكر للرئيس الفنزويلي اعتبر فيها أن موقف بلاده «شكل صفة لكثير من الحكومات التي لاتزال مكتوفة الأيدي إزاء المشهد المروع الذي تتطير فيه أشلاء الأطفال، كما أضاء بقعة بيضاء في محيط أسود من التواطؤ على شعب مسالم تكالبت عليه قوى التغطرس وذبولها»^(٤٢).

نستطيع من خلال كل ما سلف ذكره القول بأن الموقف الفنزويلي من الحرب على غزة كان في غاية الإيجابية والقيمة الإنسانية الفاعلة، حتى إن وزير العدل الفنزويلي ساوى بين الثورة الفنزويلية وبين الثورة الفلسطينية؛ حيث قال: «ثورتنا هي أيضاً ثورة تحرير فلسطين في أمريكا اللاتينية».

ويمكن تحليل هذا الموقف من زاوية إنسانية وأيديولوجية من خلال ما قاله «شافيز» ذاته في رسالته: «رغم أنه لا توحدنا أمة واحدة، لكن ما يوحدنا أكثر هو أمر أقوى وهو المواقف الموحدة لنا جميعاً فالدماء المسفوكة في غزة هي دماء البشرية...» «إن ما يجمعنا كبشر هو الموقف وليس اللغة أو الدين. غير أن بعض الظروف تتطلب موقفاً إنسانياً»^(٤٣).

ويجب ألا ننسى أن هذا الموقف ليس غريباً على فنزويلا «شافيز» أو فنزويلا «الثورة الاشتراكية» تلك التي دعمت علاقاتها مع الجمهورية الإيرانية الإسلامية وأيدتها في مشروعها النووي، وكان رئيسها أول الرؤساء المخترقين لحصار العراق، وأيدت لبنان تأييداً شاملاً وبالأخص حزب الله إبان الحرب على جنوب لبنان عام ٢٠٠٦، ودورها الرائد في منظمة أوبك، ورفضها الهيمنة الأمريكية وللعولة وسعيها لإقامة بنك عالم-ثالثي لحماية مصالح دول هذا العالم المسحوق وغيرها من الخطوات فائقة الجراءة.

ولم يقف هذا الموقف عند الحدود الفنزويلية، بل انتقل إلى التأثير على موقف دول أخرى في أمريكا اللاتينية مثل: الإكوادور وبوليفيا؛ حيث قامت الدولتان بطرد السفير الإسرائيلي، وكذلك لوحظ جهد تنسيقي واسع قامت به فنزويلا

الذي يستحق المواجهة حقاً هو جانبان؛ الذات بكل قوة هجومية، إصلاحية لا إفسادية تعميرية لا تدميرية، ثم العدو المعتدي المباشر للعدوان والمتسبب فيه بكل صمود ومقاومة

٣- ومن أهم الملاحظات على المنظومة الدولية التي تعبر عنها هذه الثمانية: نجاح الولايات المتحدة (وفي كنفها إسرائيل) في بناء عدد من التحالفات ضد أعدائها (ونحن أمة العرب والمسلمين واقعون في طريقها العدواني هذا): فتحالف مباشر يعاونها عسكرياً يداً بيد، وتحالف ممول يعاونها مالياً واقتصادياً ومنه بعض دولنا، وتحالف مبرر ومسوَّغ ومرجوع لها سياسياً وإعلامياً، وتحالف صامت عن مخالفتها ولا يعاون أعداءها بل يخذلهم، وتحالف خادم كالسقاية والمطبيين.... وأعداؤها يواجهون كل ذلك في المعركة الواحدة.

٤- ومن ناحية أخرى يلفت النظر ظاهرة «التبعية البيضاء» التي ظهرت في كل من أستراليا وكندا. فليس كل البنيان الغربي سواء، بل ثمة رعوس ورؤساء وثمره توابع وذيول وخدم، كما تحدث الفارابي. ووجه التبعية هنا يتمثل في مخالفة إطار العمل داخل كل من الدولتين من أجل التحالف الدولي مع الغرب، وبالأخص أستراليا التي لم تستجب حكومتها أي استجابة للحراك الشعبي والنخبوي باتجاه إدانة العدوان، ولم تقاربه بحال، بل ذهبت بعيداً في تأييد العدوان وتخذيّل الفلسطينيين. هذه الظاهرة تحتاج في فهمها إلى إعادة النظر في العقيدة الليبرالية والمفاهيم المتعلقة بالديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان وسيادة القانون والشرعية الدولية.. كيف يفهمها الغرب ويعتقها؟ هل هي عقائد أم أيديولوجيات أم مجرد أفكار قابلة للأخذ والرد؟ وهل هي مطلقة أم ثمة ما هو فوقها وأعلى منها؟

٥- ثم إن علاقات جميع هذه القوى -على المستوى الرسمي- بطرفي الصراع الرئيسيين (إسرائيل والعرب) كانت عاملاً حاسماً في تكييف مواقفهم من العدوان الصهيوني على غزة. فأكثرها ضالعة في علاقات متنوعة المجالات مع الكيان الصهيوني، وعلى رأسها العلاقات الاستراتيجية العسكرية والأمنية والتسليحية والمخابراتية. ولا شك أن رأس المال والإعلام اليهودي يلعبان دوراً مهماً في تشكيل هذه العلاقات، بل في التأثير على شرائح الرأي العام في أغلب هذه الدول. وبينما يقل هذا التأثير في الحكومة الفنزويلية أمكن اتخاذ المواقف الشجاعة لشافيز وفريقه، لا سيما في ظل موقفهم من الولايات المتحدة والرأسمالية الغربية الراحية

الكبير (روسيا والصين والهند واليابان)، وقوى أطراف العالم الجغرافية والتي تمثلها أيضاً دول أربع رئيسة ومميزة (هي أستراليا وكندا وفنزويلا والبرازيل). ونظراً لضيق المقام يمكن إجمال نتائج هذه المقارنة في العناوين التالية:

١- من أولى الملاحظات على هاتين المجموعتين تنوع المعادلات الجامعة بين قوة الدولة وأيديولوجيتها. فروسيا والصين القويتان قادمتان من الخلفية الشيوعية باتجاه الرسملة، والهند واليابان منتقلتان من عالم القيم الشرقية إلى عالم الاقتصاد والمال والتجارة، وكندا وأستراليا الليبراليتان تتحركان من الحيادية الدولية أو شبه الحيادية إلى لعب دور المزايد المصطف في كتيبة الهيمنة الغربية... هذه الست دول تقاربت مواقفها وتراوحت ما بين السكوت عن الحق ومؤازرة المعتدين، وهي جميعاً تقف برمتها قبالة فنزويلا (هوجو شافيز) واللاتين وتجدد الخط اليساري الذي عبر عن قيمة إنسانية عالية المعنويات، استطاعت أن تتبين لها مشتركاً مع الفلسطينيين في التعرض للاضطهاد والاستنزاف ومطامع قوى الهيمنة والاستعمار. فالمواقف الأشبه باللامواقف لا يفسرها إلا تنازع مؤثرين متعاكسين داخل العقل الروسي والصيني: مؤثر بقايا الأيديولوجيا ذات البعد الإنساني، ومؤثر الحسابات البراجماتية في ظل البحث عن معراج أمن نحو النمو والاستقرار أمام التربص الأمريكي والغربي. وفيما زادت حدة الحسابية (البراجماتية) لدى كل من اليابان والهند، فإن القيم المنكوسة لدى الموقفين الأسترالي والكندي والرؤية الحولية تطابقت مع حسابات القوة ليتوجه التنديد إلى الضحية لا إلى المعتدي. ولقد مثلت البرازيل حضور القطبين (القيمية والحسابية) لكن بكميات ضئيلة ونوعية خاملة فلم يمكنها أن تجاري فنزويلا شافيز في موقفها الفريد.

٢- ومن ناحية أخرى فقد أبرزت هذه المواقف استمرار الطبقة الدولية وحراك القوى ضمن هرم العوالم الأول والثاني والثالث. فاليابان تبدو مكتفية بدور الطفيلي على العالم الأول، ومثلها مع الفارق كندا وأستراليا: اليابان من باب التقدم الاقتصادي، والأخريان من جهة التوحد الأيديولوجي مع الغرب الليبرالي الرأسمالي. أما الصين والهند واللاتين فثمة إشكالية في تعاملها مع منظور العالم الثالث؛ حيث يبدو وكأن الدولتين اللتين تحتويان ما يقارب نصف سكان المعمورة في حالة بحث عن الاستقرار على مصطبة «العالم الثاني»، ومثلها روسيا!! ويبدو أن هذه الطبقة الوسطى مقدر لها أن تبقى مترددة بين التعاطف مع جيرانها السابقين في قاع العالم المتخلف، والطموح إلى مساكنة أرباب الطوابق العليا والأحياء الراقية.

حقوق الإنسان والحرية والمساواة والاستقلال والتحرر الوطني.. وهو الأمر الذي قد يمنح كفاءة ووجاهة عالية للمنظور الواقعي في فهم العلاقات الدولية؛ باعتبارها علاقات الصراع والقوة والدول الأثنية والمصالح القومية، لا علاقات تدافع بالسيئة والحسنة وتنوع أشكال القوة ومنها المعنوية.. وما إليه. والحقيقة أن هذا غير مسلم به، فتأمل المشهد العالمي ومواقف هذه الدول يبين أن العالم يتغير بقوة، وأن الدول والحكومات لم تعد وحدها في المضمار العالمي. فلقد قال الكثير من الشعوب كلمته، وعلى رأسها شعب فلسطين وغزة، وشعوب من أوروبا وأستراليا، فضلاً عن العالم الإسلامي. كما أن القيم والأيدولوجية بدت مفسراً مهماً وأساسياً لكثير من المواقف على اختلافاتها؛ سواء مواقف التبعية البيضاء التي لم تحسب الموقف برجماتياً بقدر ما تحركت وراء المشترك الأيدولوجي، ومواقف اليسار ذي البعد الإنساني والقيمي العالي، ومواقف الإسرائيليين أنفسهم وشعبهم الذي يدافع عن يهودية الدولة ضد إسلامية المقاومة.

٩- ثمة فرصة لإعادة النظر في مواقف هاتين المجموعتين من الدول من منظور حضاري إسلامي يبحث في: التصورات الدافعة للقوى السياسية في العالم وخرائط اتجاهاتها ناحية العالم العربي والإسلامي، والقيم المحركة والقيم المقيدة والقيم المنكوسة والقيم المخدولة، ومنهجية التفكير السياسي الدولي بين المبادئ والحسابات، ومقاصد القوى الكبرى والقوى الصاعدة وأولوياتها وموازناتها، والحضارة التي تنتسب إليها وتحدد من خلالها هويتها. فقد يتبين لنا بهذا التحليل أن الغرب ليس واحداً ولا فريداً، وأن الشرق لم يعد هو الشرق القديم، وأنا ينبغي أن نواصل عمليات فقه الواقع العالمي بغير انقطاع، وأن نتلمس فيه موقعاً ومنفذاً للحركة والمضي قدماً بعمون الله.

١٠- وفي الأجل القريب، لسنا بحاجة إلى أكثر من تحييد هذه القوى، مع التحضير لاستيعابها في الأجلين المتوسط والبعيد. وهذه الدول قابلة ومستعدة للتحديد ما لم يجر استفزازها بالتقاطع المتحدّي لخطوط المقاومة. أما الذي يستحق المواجهة حقاً فهو جانبان: الذات بكل قوة هجومية إصلاحيّة لا إفساديّة، تعميريّة لا تدميريّة، ثم العدو المعتدي المباشر للعدوان والتسبب فيه بكل صمود ومقاومة. وهذه هي الاستراتيجية التي يمكن أن نستفيد منها من أيامنا الأخيرة في: أفغانستان، جنين والضفة، العراق، الصومال، لبنان، السودان، وأخيراً وليس آخراً: غزة.

لإسرائيل. لكن المؤسف حقاً هو حال علاقات هذه القوى بالعرب والمسلمين والتي تتسم بالبرود والجمود والسطحية إلى درجة تفوق العزلة التي كانت عليها إسرائيل من قبل كثير من هذه الدول حتى السبعينيات. فإذا رجعنا إلى مواقف العرب -بل الفلسطينيين أنفسهم- من العدوان ساغت أمامنا مواقف هذه الدول وبدت أكثر من طبيعية.

٦- صف إلى هذا: الخلل في علاقات كثير من هذه القوى بالإسلام والمسلمين والإسلاميين على خلفية الحالة العالمية العامة وما يخص بعض هذه القوى من مشكلات: ومن وراء هذا تأثرت مواقفهم من غزة وحماص قبل العدوان وبعده. وليس وهماً أن نتصور أن الإسلام -بوصفه ديناميكية أمة ودافعية باتجاه نهضة عالم إسلامي يتقاطع خط سيره مع كثير من هذه القوى- قد صار محل توجس وخيفة في الشرق والغرب، وليس هذا بفعل ما يسمى بالإرهاب فقط. فليس أحد منهم يوافق الولايات المتحدة أو إسرائيل في العداء للقومية العربية، بل ربما تحبذها القوى الثلاث الكبيرة؛ لما قد تمثله من خصم من التمديد الفكري إلى الأمة الإسلامية ومن ثم العناية بالشيشان وتركستان الشرقية وكشمير والجالليات المسلمة الكبيرة. وهذا يعد وجه تنافر مع هذه الدول، إذا كان مدخلنا إلى القضية هو الإسلام والأمة الإسلامية. ويدفع هذا للتساؤل: هل تصبح المقاومات الإسلامية متنافية من هذا «المنظور العالمي»؟ بمعنى أن البحث عن تأييد القوى الكبرى لمقاومة معينة يقتضي مفاصلة هذه المقاومة لأخت لها تعارض هذه القوة ولو من باب السياسة ومن ثم اعتماد استراتيجية الخطوط المستقلة أو المنفصلة أو المتوازية في مقاومات الأمة (ويراجع في ذلك تصريحات الزهار عن الشيشان إبان زيارته لموسكو عقيب الانتصار الانتخابي لحماص).

٧- إن إسلامية حماس أدخلت على القضية الفلسطينية بعداً فكرياً وأيدولوجياً لا يمكن إغفاله، خاصة بالنسبة للقوى الثلاث (روسيا والصين والهند) التي تواجه الإسلاميين في بقاعها. وقد نجحت الولايات المتحدة بعد ٩/١١ في أن تحول صفة «الإسلامية» إلى معنى التطرف والإرهاب، وطاوعها على هذا الأكثرية من الدول والسياسة في أمتنا وخارجها؛ الأمر الذي يفرض تحركاً باتجاه الدفاع عن مفهوم (الدين) عامة والدفاع عن دين (الإسلام) خاصة، وذلك في المجال السياسي والدولي بكل إصرار وصمود ويقين.

٨- لاحظنا بوضوح تساؤل حضور أو تأثير القيم والاعتبارات المبدئية والأخلاقية والإنسانية العملية حتى الدفاع عن قيم

الهوامش:

(١٠) راجع موقع
<http://www.islamtoday.net/albasheer/artshow-12-106209.htm>

(١١) راجع موقع
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1232171532462&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

(١٢) راجع موقع وزارة الخارجية اليابانية
http://www.mofa.go.jp/announce/announce/2009/1/1185856_1126.html

(١٣) الموقع السابق.
(١٤) راجع موقع

<http://www.hasanjp.com/?p=146>
(١٥) راجع موقع

<http://www.alriyadh.com/2007/08/16/article272985.html>
(١٦) راجع موقع

<http://www.petra.gov.jo/Artical.aspx?Lng=2&Section=3&Artical=79166>
(١٧) مسعود ظاهر، اليابان و الحرب على غزة، مقال منشور، ١-٦-٢٠٠٩،

<http://www.alkhaleej.ae/portal/523d76d9-e267-4ac9-b973-d3b8496623af.aspx>
(١٨) راجع موقع

<http://www.alkhaleej.ae/portal/523d76d9-e267-4ac9-b973-d3b8496623af.aspx>
(١٩) راجع موقع

(٢٠) راجع مثلاً التقرير الذي نشرته مجلة «فرايدي» الصادرة باللغة اليابانية تحت عنوان «الجحيم يعينه في غزة.. إسرائيل تستخدم أسلحة حارقة ضد البشر» تضمن صوراً وتحليلات لخبراء وشهود عيان عن الأسلحة الكيميائية والإشعاعية التي استخدمتها قوات الاحتلال الإسرائيلية ضد سكان غزة دون تمييز. وأشار التقرير إلى أن هذه الأسلحة الإسرائيلية تتضمن قذائف «دايم» التي هي عبارة عن متفجرات مكثفة في معادن بجزيئات دقيقة جداً بإمكانها اختراق الجسم البشري بجزيئات صغيرة دون إحساس الضحية المستهدفة، ثم تنفجر داخل الجسم.

(١) راجع :

http://www.alwaqt.com/blog_art.php?baid=9368

(٢) فقد أعفت روسيا العراق وسوريا والجزائر وليبيا من ديون سوفيتية تُقدَّر بأكثر من عشرين مليار دولار مقابل استثمارات ومشروعات مشتركة لم يتم منها شيء. فقد تراجع السعوديون عن اتفاق مشروع خطوط السكك الحديدية الذي كانت ستتولاه شركة روسية، وتراجعت ليبيا عن اتفاق الغاز مع الشركة الروسية «غاز بروم»، وكانت فضيحة إعادة الجزائر ١٩ طائرة «ميج ٢٩» لروسيا نهاية العام ٢٠٠٧ بعد عام من تسلمها إياها، ولم تفِ مصر بوعودها لروسيا في التعاون معها في مجال الطاقة النووية التي قدمها رئيس الوزراء المصري لموسكو أثناء زيارته لها في نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي وعاد للقاهرة ليرسي عطاء المحطة النووية في مصر على شركة أميركية بكلفة ثلاثة أضعاف المبلغ الروسي. مغازي البدرأوي، لماذا غابت روسيا عن غزة؟ الوقت، العدد ١٠٦٤ الاثنين ٢٢ من محرم ١٤٣٠ هـ - ١٩ من يناير ٢٠٠٩:

http://www.alwaqt.com/blog_art.php?baid=9368

(٣) المرجع السابق.

(٤) محمود ريا، الصين وروسيا في غزة: مواقف باهتة من منطلقات متشابهة، الخميس ٢٢ من كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩:

<http://www.chinainarabic.net/modules.php?name=News&file=print&sid=2593>

(٥) منير شفيق، الصين وأميركا والعالم، في:

<http://www.arabrenewal.org/articles/24037/1/NaeOiC-aeaaePYaC-aa-CaUIaeCa-Uai-UOE/OYIE1.html>

(٦) راجع موقع

<http://www.indembcairo.com/Archive%20Arb2008/Dec..%2028.htm>

(٧) راجع موقع

<http://www.indembcairo.com/Archive%20Arb2008/Dec..%2029.htm>

(٨) راجع موقع

<http://www.alukah.net/articles/1/3574.aspx>

(٩) راجع موقع

<http://www.alzoa.com/docView.php?con=36&docID=8955>

- (٣٥) راجع
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/66CFB3D6-C912-4554-B76C-45128D60E7B6.htm>
- (٣٦) حوار ديمة الخطيب مع رئيس الوزراء الفنزويلي في قناة الجزيرة
نص الحوار موجود في
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/84540FA0-E55B-494D-AFED-5DE282EDB013>
- (٣٧) ورد ذلك في تقرير إخباري في المرجع السابق.
- (٣٨) راجع مقابلة مع هوجو شافيز في جريدة العربي الناصري العدد
١١٤٣، ١ من فبراير ٢٠٠٩، ص ٧.
- (٣٩) راجع موقع
<http://www.moheet.com/>
و موقع رسالة فنزويلا الاشتراكية
http://show_news.aspx?nid=209976&pg=1
21centurysocialism.wordpress.com
- (٤٠) راجع موقع
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/66CFB3D6-C912-4554-B76C-45128D60E7B6.htm>
- (٤١) المرجع السابق.
- (٤٢) راجع موقع
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/19E82D60-A856-48C8-9CDD-0D66A2631B40.htm>
- (٤٣) راجع موقع
<http://21centurysocialism.wordpress.com>

- (٢١) راجع موقع
<http://www.alkhaleej.ae/portal/523d76d9-e267-4ac9-b973-d3b8496623af.aspx>
- (٢٢) يكفي التذكير هنا بما قام به الأستاذ في جامعة طوكيو، يوزو إيتاجاكي Yuzo ITAGAKI ، بعد مجازر صبرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢ . فبعد أن نُشرت أولى صور المجزرة التي التقطها المصور الياباني ريوشي هيروكاوا Ryuichi HIRO- KAWA تحرك الرأي العام الياباني بقوة ضد تلك المجزرة.
- (٢٣) راجع موقع
<http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=120828&issueno=8674>
- (٢٤) راجع موقع www.sociatistallionce.au
- (٢٥) راجع موقع www.gneenlift.net.au
- (٢٦) راجع موقع www.stopwar.org
- (٢٧) راجع موقع
www.jpost.com/servlet/satellit?pagename=jpost
- (٢٨) راجع موقع www.international.ge.calindex.aspx
- (٢٩) راجع موقع www.acp.cpa/gazaevents.htm (٩)
- (٣٠) المرجع السابق.
- (٣١) راجع موقع www.media-globe.com
- (٣٢) راجع موقع www.sbs-com.au/news
- (٣٣) راجع <http://www.kulifi.com/v/t21735.html>
- (٣٤) راجع الموقع <http://www.kulifi.com/v/t21735.html>

